ديوان الأسرار والرموز



شعر: محمد إقبال

ترجمة: عبد الوهاب عزام

ديوان الأسرار والرموز

ديوان الأسرار والرموز

تأليف
محمد إقبال

ترجمة
عبد الوهاب عزام



ديوان الأسرار والرموز

محمد إقبال

رقم إيداع ٢٣٢٢١ / ٢٠١٣
تدمك: ٥ ٦١٨ ٧١٩ ٩٧٧ ٩٧٨

مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة
جميع الحقوق محفوظة للناشر مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة
المشهرة برقم ٨٨٦٢ بتاريخ ٢٦ / ٨ / ٢٠١٢

إن مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره
وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه
٥٤ عمارات الفتح، حي السفارات، مدينة نصر ١١٤٧١، القاهرة
جمهورية مصر العربية
تليفون: ٢٢٧٠٦٣٥٢ ٢٠٢ + **فاكس:** ٣٥٣٦٥٨٥٣ ٢٠٢ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: http://www.hindawi.org

تصميم الغلاف: محمد التوبجي.

المحتويات

مقدمة

١

أقدم إلى قراء اللغة العربية ديوانين من دواوين الشاعر الكبير والفيلسوف العظيم محمد إقبال — رحمه الله — هما: أسرار إثبات الذات ورموز نفي الذات.

وقد قدَّمتُ إليهم من قبل ديوانَيْ رسالة المشرق وضرب الكليم، وكتابًا جامعًا فيه سيرة إقبال وفلسفته وشعره.

وبيَّنت في مقدمات هذه الكتب الثلاثة كيف اقترح عليَّ أصدقاء إقبال في باكستان أن أُخرِجها في لغة القرآن، وكيف أخرجتها وطبعتها في باكستان ومصر.

واليوم أحدث القراء عن الأسرار والرموز.

أعود إلى ذكر أحبَّاء محمد إقبال الذين كانوا يجتمعون في المجالس المباركة الخالدة، في دار السفارة المصرية من مدينة كراچي، على قراءة كتب إقبال والتحدث في مذهبه وسيرته، وقد تحدثت عن هؤلاء الإخوان الكرام فيما نشرت من الكتب الإقبالية.

قال الإخوان — بعد أن نشرت رسالة المشرق وضرب الكليم: اليوم يجدر بك أن تترجم المنظومتين اللتين بيَّن فيهما إقبال مذهبه، وشرح فلسفته؛ فإنَّ ما ترجمتَ من قبل شعرٌ تظهر فيه آراء إقبال في العالم والحياة والناس، فكَرًا متفرقة أو دررًا منثورة، وفي الأسرار والرموز فصول مرتبة يبيِّن فيها الشاعر مذهبَه في إثبات الذات ونفيها، وهما عماد فلسفته، وقطب شعره.

وانفضَّ المجلس على أن أترجم الأسرار والرموز إلى العربية، وشرعنا نقرأ المنظومتين في مجالس متتابعة.

وأجدُ الآن في نسختي — التي قرأت فيها مع الإخوان — هذه الكلمات في أول الكتاب:

> بدأنا القراءة في أول آذار (مارس) سنة ١٩٥٢.

وفي آخر الديوان الأول:

> فرغنا من القراءة والساعة ست ونصف — قبيل المغرب — يوم الأربعاء ٢٦ شعبان سنة ١٣٧١هـ/٢١ نيسان (أبريل) سنة ١٩٥٢، ويلي هذا توقيع الإخوان.

وفي آخر الديوان الثاني:

> تمت القراءة والساعة ثمانٍ من مساء يوم الأربعاء الثامن من صفر سنة ١٣٧٢هـ/٢٩ أكتوبر سنة ١٩٥٢م والحمد لله رب العالمين، ثم توقيع الإخوان كذلك.

فقد استمرت القراءة ثمانية أشهر، وكان مجلسنا يجتمع كل أسبوع مرة، ولا ريب أن أسفارًا وأشغالًا عرضت فحالت دون موالاة والاجتماع، وإلَّا لم تستغرق القراءة هذه الشهور الثمانية.

٢

وبدأت الترجمة في شوال من السنة نفسها «تموز (يوليو) سنة ١٩٥٢»، وكنت أحسب أن ترجمة هذا الديوان «الأسرار والرموز» أيسر من ترجمة الديوانين: «رسالة المشرق» و«ضرب الكليم»؛ لأنه منظوم في بحر واحد هو الرَّمَل، على القافية المزدوجة التي تتغير فيها التقفية في كل بيت — وهي التي تسمى المثنوي في اصطلاح الأدب الفارسي — ولكن الترجمة طالت أكثر مما قدَّرت؛ إذ كان الديوان نظمًا متصلًا، لا ينشط المترجم فيه نشاطَه حين يترجم قصيدة من ديوان، فيرى أنه أتم عملًا فيستأنف ترجمة قصيدة أخرى، فيتمها، وهلم جرا.

واليت الترجمة على العلات، وكثرة الفَترات، وكنت أؤرخ، بين حين وحين، ما بلغت من الترجمة، وأذكر المكان الذي أترجم فيه، بين السفر والحضر والبر والبحر، حتى تمت ترجمة المنظومة الأولى «أسرار خودي»، فكتبت في كراسة الترجمة:

تمت ترجمة «أسرار خودي» والساعة ثلاث ونصف بالتوقيت العربي ليلة الأحد رابع أيام التشريق سنة ١٣٧٢هـ — ٢٢ آب (أغسطس) سنة ١٩٥٣ — في مدينة كراچي.

فقد ماطلتني الترجمة سنة، وكنت ترجمت «رسالة المشرق» في نحو أربعة أشهر، وكذلك ترجمت «ضرب الكليم».

ومضيت في ترجمة المنظومة الثانية حتى كتبت هذه العبارات:

يسر الله الفراغ من الترجمة على بعد الشُّقَّة، وطول المدى، واعتراض الشواغل، وكثرة الحوائل، يوم الأحد سابع عشر صفر سنة ١٣٧٤هـ — ١٤ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٥٤م — والساعة أربع وربع بعد الظهر، في دار السفارة المصرية من مدينة كراچي.

فقد شغلتني ترجمة «الأسرار والرموز» أكثر من سنتين.

٣

وتركت باكستان بعد شهر من انتهاء الترجمة، وكان مجمع إقبال «إقبال أكاديمي» قد أخذ عليَّ العهد أن أعطيه الكتاب ليتولى نشره، بعد أن غلبه على «ديوان رسالة المشرق» مجلسُ إقبال في باكستان، وعلى «ضرب الكليم» جماعةُ النشر بالأزهر، وبلغ من حرص الصديق الدكتور اشتياق حسين قريشي — وزير المعارف ورئيس مجمع إقبال — أن ألزمني الوعدَ بإيثار مجمع إقبال بنشر الكتاب، أمام السيدة الجليلة فاطمة جناح أخت القائد الأعظم محمد علي جناح.

وكان مجمع إقبال، فاوض دار المعارف في القاهرة لنشر الكتاب، وسافرت من باكستان، فلم أفرغ للكتاب فتأخر نشره.

وراجعت الترجمة في الحضر والسفر، ويجدُ المطَّلع في كراستي عبارات تدل على أن المراجعة والتحرير كانا في الحجاز واليمن ومصر وعلى السفن في البحار.

ثم يسر الله أن أقدم بعض الكتاب لدار المعارف في شهر شباط (فبراير) الماضي فشرعتْ في طبعه، وواليت تقديم صفحات الكتاب حتى قدمت آخره حين تم التبييض والمراجعة وقت الأصيل يوم السبت حادي عشر هذا الشهر «شهر شعبان» سنة ١٣٧٥هـ — ٢٤ آذار (مارس) ١٩٥٦م — في مدينة جدة.

فقد أمضيت ثلاث سنوات ونصف وأنا في شغل بترجمة هذا الكتاب وتحريره، ولولا صحة العزم، وعظم الرغبة ما تيسرت ترجمة هذا الديوان القيم، ولحال اليأس أو العجز دون إتمامه.

٤

لا أعرض لطريقة الترجمة، ولا أتحدث عن صعوبتها، ولا سيما ترجمة النظم بالنظم على اختلاف اللغتين في المجازات والأساليب، وعلى غرابة الموضوع، فقد أبنت عن هذه وهذه في مقدمة الديوانين: «رسالة المشرق» و«ضرب الكليم».

على أن في الترجمة جانبًا من اليسر؛ لأن معظم الاصطلاحات عربي، وأن الموضوع إسلامي على ما فيه من فلسفة.

وبعد، فإلى قراء العربية أقدم الديوانين الثالث والرابع من دواوين إقبال التي تجشمت ما تجشمت في نقلها إلى العربية حرصًا على إشاعة ما فيها من دعوة إلى الحياة والأمل والعمل، والسمو بالإنسان إلى أعلى ما قُدِر للإنسان من ارتقاء ورغبة في إمداد أدبنا بهذا الضرب من الأدب الإسلامي الإنساني الرفيع.

والله ولي التوفيق.

عبد الوهاب عزام

١١ شعبان ١٣٧٥هـ/ ٢٤ آذار ١٩٥٥م

المدخل

بيّنت بيانًا شافيًا فلسفة إقبال في كتابي «محمد إقبال، سيرته وفلسفته وشعره» وأجملت آراءه كما بيَّنها في ديوان «الأسرار والرموز» فليرجع إلى الكتاب من يرغب في الاستزادة.

وفي هذا المدخل نبين — في إيجاز — فلسفة إقبال وآراءه التي يستخلصها قارئ «أسرار إثبات الذات ورموز نفي الذات».

أذكر طرفًا مما ثار حول الديوان من جدال، ثم أعرض على القارئ خلاصة المقدمة التي كتبها إقبال باللغة الأردية لكتاب «الأسرار والرموز» ثم حذفها بعد الطبعة الأولى، وأعرض عليه كذلك خلاصة ما كتبه إقبال تبيانًا لمذهبه حينما سأله هذا الأستاذ المستشرق الإنكليزي نكلسون مترجم الأسرار إلى اللغة الإنكليزية.

١

نشر الشاعر الفيلسوف محمد إقبال أول دواوينه الفلسفية «أسرار خودي» سنة ١٩١٥م، وهو منظومة طويلة في بحر واحد، وعلى القافية المزدوجة، مقسمة إلى فصول يوضِّح فيها الشاعر فلسفته في الذاتية فكرة بعد فكرة، ويصورها في صور شعرية رائعة.

ثم نشر ديوانه الثاني المتصل بهذا الديوان «رموز بي خودي» وهي كلمة فارسية تدل على الأثرة والإعجاب بالنفس، ولكن إقبالًا نقلها إلى معنى آخر جعله قاعدة فلسفته، هو تعرف الإنسان نفسه، وتقويتها، وإخراج ما أودع فيها من مواهب.

رأى الصوفيةُ في الذاتية أمرًا نكرًا؛ إذ كان التصوف — بزعمهم — يقصد إلى إذلال النفس وإماتتها حتى تؤهَّل للفناء في الله.

وزاد الصوفيةَ ثورة على شاعر الحياة والقوة أنه عمد إلى إمام من أئمتهم وشاعر من أعاظم شعرائهم «لسان الغيب حافظ الشيرازي» فحطَّ من شأنه وغضَّ من طريقته، ونهى الناس عنها، وحذرهم منها، وكذلك خالف محيي الدين بن عربي الملقب بالشيخ الأكبر، وغلَّطه، وقال: إن آراءه غير إسلامية.

وقد أجاب إقبال المعترضين أجوبة منها قوله في رسالة إلى الشيخ حسن نظامي:

... إني بفطرتي وتربيتي أنزع إلى التصوف، وقد زادتني فلسفة أوروبا نزوعًا إليه، فإن هذه الفلسفة في جملتها تنزع إلى وحدة الوجود؛ ولكن تَدَبُّر القرآن المجيد، ومطالعة تاريخ الإسلام بإمعان عرفاني غلطي، وبالقرآن عدلت عن أفكاري الأولى، وجاهدت ميلي الفطري، وحِدْتُ عن طريق آبائي.

إن الرهبانية ظهرت في كل أمة وعملت لإبطال الشريعة والقانون؛ والإسلام في حقيقته هو دعوة إلى مخالفة الرهبانية.

والتصوف الذي شاع بين المسلمين — أعني التصوف العجمي — أخذ من رهبانية كل أمة، وجهد أن يجذب إليه كل نِحلة، حتى القرمطية التي قصدت إلى التحلل من الأحكام الشرعية.

إن حالة السكر — في اصطلاح الصوفية — تنافر الإسلام وقوانين الحياة، وحالة الصحو — وهي الإسلام — توافق قوانين الحياة، وإنما قصد الرسول ﷺ إنشاء أمة صاحية، ولهذا نجد في صحابة الرسول الصديق والفاروق، ولا نجد حافظًا الشيرازي ...

ولا أنكر عظمة الشيخ ابن عربي وفضله، بل أعده من كبار فلاسفة المسلمين، ولا أرتاب في إسلامه؛ فإنه يحتج لعقائده، كقوم الأرواح ووحدة الوجود، بالقرآن مخلصًا، فآراؤه على صوابها وغلطها قائمة على تأويل القرآن. وأرى أن تأويله غير صحيح، فأنا أعده مسلمًا مخلصًا، ولا أتبعه في مذاهبه.

ويقول في رسالة أخرى إلى أحد المعترضين:

الحق أن التماس معانٍ باطنة في قانون أمة، هو مَسْخٌ لهذا القانون، كما يعلم من سيرة القرامطة، ولا يختار هذه الطريقة إلا أمةٌ في فطرتها الخنوع والذلة.

وفي شعراء العجم جماعة في طباعهم الميل إلى الإباحة ... وقد افتنَّ هؤلاء الشعراء في إبطال شعائر الإسلام بأساليبَ عجيبة خداعة.

وفي رسالة أخرى إلى هذا المعترض نفسه يقول إقبال:

> كل شعر التصوف ظهر في زمان ضعف المسلمين السياسي، وكل أمة يصيبها ضعف كالذي أصاب المسلمين بعد غارات التتار، تتبدَّل أنظارها وتجمُل الاستكانة في أعينها، وتركن إلى ترك الدنيا، وفي هذا الترك تخفي ضعفها وهزيمتها في تنازع البقاء …

خلاصة المقدمة التي كتبها إقبال لأسرار خودي

ما هذا الشيء الذي نسميه «أنا» أو «خودي» أو «مين»[1] الذي يبدو في أعماله ويخفى في حقيقته، والذي يخلُق كل المشاهدات، ولكن لطافته لا تحتمل المشاهدة؟ أهو حقيقة دائمة أم أن الحياة تجلت في هذا الخيال الخادع، وهذا الكذب النافع، تجليًا عرضيًّا لتحقيق مقاصدها العملية الراهنة؟

إن سيرة الأفراد والجماعات موقوفة على جواب هذا السؤال … ولكن جواب هذا السؤال لا يتوقف على المقدرة الفكرية في الآحاد والجماعات، كما يتوقف على طباعها وفطرتها، فأمم الشرق المتفلسفة أميل إلى أن تعتبر «أنا» في الإنسان من خداع الخيال، وهي تعدُّ الخلاص من هذا الغُلِّ نجاة، وميلُ أهل الغرب إلى العمل ساقهم إلى ما يلائم طباعهم في هذا البحث.

ويمضي إقبال في مقدمته قائلًا:

> اختلطت في عقول الهنادك وقلوبهم النظريات والعمليات اختلاطًا عجيبًا، ودقق حكماؤهم في حقيقة العمل، وانتهوا إلى هذه النتيجة: إن حياة «أنا» المسلسلة، وهي أصل المصائب والآلام، تنشأ من العمل، وإن حالة النفس الإنسانية نتيجة محتومة لأعمالها.

وكانت رسالة الإسلام في غربي آسيا دعوة إلى العمل بليغة، فالإسلام يرى أن «أنا» مخلوق ينال الخلود بالعمل، ولكن تشابهًا عجيبًا في تاريخ الفكر الهندي والإسلامي، يظهر في بحث هذه المسألة، فالفكرة التي فسر بها شنكر أچاريه، كتاب الجيتا «كيتا» هي

الفكرة التي فسر بها القرآن محيي الدين بن عربي الأندلسي، وكان له أثر بليغ في عقول المسلمين وقلوبهم، جعل ابن عربي بعلمه ومكانته مسألة وحدة الوجود عنصرًا في الفكر الإسلامي، واقتفى أثره أوحد الدين الكرماني وفخر الدين العراقي، حتى اصطبغ بهذه الصبغة كل شعراء العجم في القرن السادس الهجري.

خاطب فلاسفة الهند العقل في إثبات وحدة الوجود، وخاطب شعراء إيران القلب، فكانوا أشد خطرًا وأكثر تأثيرًا، حتى أشاعوا بدقائقهم الشعرية هذه المسألة بين العامة؛ فسلبوا الأمة الإسلامية الرغبة في العمل.

وتمتاز أمم الغرب بين أمم العالم بميلها إلى العمل، فآراؤهم خيرُ دليل لأمم المشرق إلى فهم أسرار الحياة.

وبدأت الفلسفة الجديدة في الغرب من وحدة الوجود التي دعا إليها الفيلسوف الهولندي الإسرائيلي،[٢] ولكن مسحة العمل غلبت على طبائع الغرب، فلم يلبث طويلًا طلسم وحدة الوجود التي أُثبتتْ بأدلة رياضية، سبق الألمان إلى إثبات حقيقة «أنا» الإنسانية المستقلة، ثم تحرر من هذا الطلسم الخيالي فلاسفة الغرب على مر الزمان ولا سيما فلاسفة الإنكليز.

ويختم إقبال بقوله:

> هذه خلاصة تاريخ المسألة التي هي موضوع هذه المنظومة، وقد اجتهدت أن أحرر هذه المسألة الدقيقة من تعقيد الأدلة الفلسفية، وألونها بألوان الخيال ليتيسر إدراك حقيقتها.

ولم أقصد بهذه الديباجة إلى تفسير هذه المنظومة، ولكن أردت أن أدل على الطريق من لم يُلِمَّ من قبل بدقائق هذه المسألة العسيرة.

ولا ينبغي هنا أن أتناول هذه المنظومة من حيث الشعر، فإنما خيال الشعر فيها وسيلة إلى توجيه الناس إلى هذه الحقيقة:

> إن لذة الحياة مرتبطة باستقلال «أنا» وبإثباتها وإحكامها وتوسيعها، وهذه الدقيقة تمهد إلى فهم حقيقة «الحياة بعد الموت».

وينبغي أن يعلم القراء أن لفظ «خودي» لا يستعمل في هذه المنظومة بمعنى الأثرة كما تستعمل في اللغة الأردية غالبًا، إنما معناها الإحساس بالنفس أو تعيين الذات.

وهي بهذا المعنى في كلمة «بيخودي» كذلك.

هوامش

(١) مين بالأردية معناها أنا.

(٢) يعني اسبنوزا.

خلاصة مقال الشاعر إلى الأستاذ نكلسون

مذهب الأستاذ بريدلي أن كل مركز للشعور محدود، أي كل ذات مفردة، خداع نظر باطل، وأنا أقول — على خلاف هذا: إن مركز الشعور المحدود الذي لا يدرك «الذات» هو حقيقة الكائنات، فالذات حق لا باطل.

الحياة كلها فردية، وليس للحياة الكلية وجود خارجي، وحيثما تجلت الحياة تجلت في شخص أو فرد أو شيء، والخالق كذلك فرد؛ ولكنه أوحد لا مثل له.

وظاهرٌ أن هذا التصور للكائنات يخالف كل المخالفة ما ذهب إليه شراح فلسفة هيكل من محدثي الإنكليز، ويخالف أصحاب وحدة الوجود الذين يرون أن مقصد حياة الإنسان: أن يفني نفسه في الحياة المطلقة أو «أنا» المطلق، كما تفنى القطرة في البحر.

أرى أن هدف الإنسان الديني والأخلاقي، إثبات ذاته لا نفيها، وعلى قدر تحقيق انفراده أو وحدته، يقرب من هذا الهدف.

قال الرسول ﷺ: «تخلقوا بأخلاق الله» فكلما شابه الإنسان هذه الذات الوحيدة كان هو كذلك فردًا بغير مثيل.

وتنقص فرديته على قدر بعده من الخالق، والإنسان الكامل هو الأقرب إلى الله، ولكن ليس القصد من هذا القرب أن يفني وجوده في وجود الله — كما تقول فلسفة الإشراق — بل هو على عكس هذا، يمثل الخالق في نفسه.

الحياة رقيٌّ مستمر، تسخر كل الصعاب التي تعترض طريقها، وحقيقتها أن تخلق دائمًا مطالب ومُثُلًا جديدة، وقد خلقت من أجل اتساعها وترقيها آلات كالحواس الخمس والقوة المدركة لتقهر بها العقبات والمشقات.

وأشد العقبات في سبيل الحياة: المادة أو الطبيعة، ولكن المادة ليست شرًّا كما يقول حكماء الإشراق، بل هي تعين الذات على الرقي، فإن قوى الذات الخفية تتجلى في مصادمة هذه العقبات.

وإذا قهَرت الذاتُ كلَّ الصعاب التي في طريقها بلغت منزلة الاختيار، الذاتُ نفسها فيها اختيار وجبر، ولكنها إذا قاربت الذات المطلقة نالت الحرية الكاملة، والحياة جهاد لتحصيل الاختيار، ومقصد الذات أن تبلغ الاختيار بجهادها.

دوام الذات أو الشخصية

مركز حياة الإنسان ذات «خودي» أو شخص، أعني: أن الحياة حينما تتجلى في الإنسان تسمى ذاتًا.

وشخصية الإنسان — من الوجهة النفسانية — حال من التوتر، ودوام الشخصية موقوف على هذه الحال، فإن زالت هذه الحال عقبتها حال من الاسترخاء مضرة بالذات، فإن يكن في حالة التوتر هذه كمال الإنسان فأول فرض عليه أن يعمل لدوام هذه الحال والحيلولة دون حال الاسترخاء.

وكل ما يمكِّننا من إدامة حال التوتر يمكِّننا من الخلود.

وهذا التصور للشخصية يقوم معيارًا ليقيِّم الأشياء، أعني أن في ذاتنا معيار الحسن والقبح، وبهذه تُحلُّ مسألة الخير والشر، فما يقوِّي الذات خير وما يُضعفها شر، ويجب أن يقوم الدين والأخلاق والفنون بهذا المعيار أيضًا.

واعتراضي على أفلاطون هو في أصله اعتراض على كل النظم الفلسفية التي تقصد إلى الفناء لا البقاء والتي تُغفل المادة، وهي أكبر العقبات في سبيل الحياة، وتدعو إلى الفرار منها لا إلى تسخيرها والتسلط عليها.

وكما تعرض مسألة المادة في مبحث حرية الذات، تعرض مسألة الزمان في مبحث خلودها.

يقول برجسون: إن الزمان ليس خطًّا ممتدًّا إلى غير نهاية يتحتم علينا المرور به، هذا التصور للزمان غير صحيح، فالزمان الخالص لا يدخل فيه تصور الطول، أي لا نستطيع قياسه بمقياس الليل والنهار.

إن خلود الذات أمل، من أراد أن يظفر به فليجدَّ ويدأب لبلوغه، والظفر به موقوف على أن نسلك طريقًا للفكر والعمل في هذه الحياة يعيننا على حفظ حالة التوتر، ولا

يستطيع إبلاغنا هذا الأمل دين بوذا والتصوف العجمي، وما إلى هذين من نظم الأخلاق الأخرى، لقد أضرت بنا هذه الطرق فأضرعتنا وأنامتنا، إن هذه المذاهب هي الليالي في أيام حياتنا.

تربية الذات

لا ريب أن الذات تستحكم بالعشق، ومفهوم العشق هنا واسع جدًّا، ومعناه: إرادة الجذب والتسخير، وأعلى أشكاله أن يخلق مقاصده ويجد في نيلها، وخاصة العشق إفراد العاشق والمعشوق، أعني: إظهار الانفراد والاستقلال فيهما، وإذا جدَّ الطالب في طلب الأوحد الأسمَى ظهر فيه التوحد، ويتحقق ضمنًا توحُّد المطلوب؛ لأنه إن لم يكن واحدًا مستقلًّا بنفسه لم يسكن الطالب إليه، إنما يمكن عشق شخص أو وجود معين، ولا يمكن لشخص عشق كائن غير مشخص.

وكما تستحكم الذات بالعشق تضعف بالسؤال، وكل ما ينال بغير جهد يعد سؤالًا، فالذي يرث مال غيره سائل، والذي يتبع أفكار غيره أو يدَّعيها لنفسه سائل.

والخلاصة: أنه ينبغي — لأجل إحكام الذات — أن نخلق في أنفسنا العشق، ونتجنب كل ضروب الاستجداء (أي: البطالة).

إن في حياة الرسول ﷺ أسوة حسنة للمسلم، فقد كانت حياته خير مثل للسعي الدائم، لقد كانت حياته كلها صورة للعمل.

أشرت في فصول من هذا المثنوي إلى أصول فلسفة الأخلاق الإسلامية، وبيَّنت أن لكمال الذات ثلاث مراحل:

(١) إطاعة القانون الإلهي.
(٢) وضبط النفس.
(٣) والنيابة الإلهية.

والنيابة الإلهية في هذه الدنيا هي أعلى درجات الرقي الإنساني، ونائب الحق «الله» خليفة الله في الأرض، وهو أكمل ذات تطمح إليها الإنسانية، وهو معراج الحياة الروحي.

وأول شرط لظهور نائب الحق أن ترقى الإنسانية في جانبيها الروحي والجسمي؛ فإن ارتقاء الإنسانية يقتضي ظهور أمة مثالية يتجلى في أفرادها — في الجملة — هذا التوحد الذاتي، وتصلح لأن يظهر فيها نائب الحق.

فمعنى سلطان الله في الأرض: أن تقوم فيها جماعة شورية يتوحَّد أفرادها، ويقوم على هذه الجماعة واحد يمكن أن يسمى نائب الحق أو الإنسان الكامل، وهذا الإنسان الكامل يبلغ ذروة الكمال التي لا تتصور فوقها ذروة.

وقد رأى نطشه (الفيلسوف الألماني المعروف) ضرورة ظهور هذه الأمة المثالية، ولكن دهريته وإعجابه بالسلطان مسخا فلسفته كلها ا.هـ.

هذه خلاصة رسالة إقبال إلى الأستاذ نكلسون، وحسبنا في إيضاح مذهبه ما قدمنا من تلخيص رسائله ومقدمته لأسرار الذات، ورسالته إلى نكلسون.

أسرَارُ إثبات الذات

رأيتُ الشيخ بالمصباح يسعى　　له في كل ناحية مَجال
يقول: مَللتُ أنعامًا وبَهْمًا　　وإنسانًا أريد، فهل يُنال؟
برِمتُ برفُقةٍ خارَت قواها　　برسْتُمَ أو بحيدرٍ اندمال[1]
فقلنا: ذا مُحالٌ، قد بحثنا،　　فقال: ومُنيتي هذا المحالُ

مولانا جلال الدين الرومي

تمهيد

ليس في أعواد غابي سقَطٌ　　هيَ للمنبر أو أعواد صَلْب[2]

نظيري النيسابوري

قطع الصبحُ على الليل السفَرْ　　فَهمَى دمعي على خدِّ الزهَرْ
غسل الدمعُ سُباتَ النرجِسِ　　وصحا العُشب بمَسرَى نفَسي
جرَّب الزارعُ قولي مُحصَدا　　مِصرعًا ألقى، وسيفًا حَصدا
إنَّه حَبَّ دموعي زَرعا　　نسجَ الروضَ وأنَّاتي معا

ذرَّةٌ قد نالت الشمسَ أنا ... كم صباحٍ في فؤادي كَمنا
طينتي من جَامِ جَمٍّ أنورُ ... من غيوب الكون عِندي خبرُ[٣]
صَيْدُ أفكاري ظِباء لم تُرَمْ ... لم تُسَيَّب بَعدُ من قيد العَدمْ
زَانَ بُستانيَ عشبٌ ما ظَهَرْ ... وجنيتُ الورد في جوف الشجر[٤]
محفِلُ الشادين مني يَرجُفُ ... في وِتار الكون كفِّي تعزِف
صامِتٌ فيَّ ربابُ الفِطرةِ ... ما وعَى عنِّي جليسي نغمِتي
إنني شمسٌ قريبٌ مولِدِي ... حُبُكًا في فَلَكٍ لم أعْهَد
لم يَرُعْ ضوئيَ سِربَ الزُّهُرِ ... أو يُرَجْرَجْ زئبَقي في البَصرِ[٥]
ما رأت رقصَ ضيائي الأبحُرُ ... أو كسا الأطوادَ ثوبي الأحمر
عينُ هذا الكون لي لا تَعهد ... أنا من خوف طلوعٍ أرْعَدُ
مزَّق الظلمةَ فجري فسفَرْ ... وبدا طَلٌّ جديدٌ في الزَّهرْ
إنني أرقب صبحًا مُعلمًا ... حبَّذا من حول ناري زمزما[٦]

* * *

أنا لَحْنٌ دون ضَربٍ صَعَدَا ... أنا صوتٌ شاعري يأتي غدا[٧]
دونَ عصري كلُّ سرٍّ قد خَفِي ... ما بهذي السوق يُشرى يوسُفي[٨]
أنا في يأسٍ من الصَّحْب القديم ... مُشْعَلٌ طُوري ليغشاه كليمْ[٩]
بحرُ صحبي قطرةٌ لا تَزْخَرُ ... قطرتي كاليمِّ فيه صَرْصَرُ
من وجودٍ غير هذا لي غِناء ... ولركبٍ غيرِ هذا لي حُداءْ
كم تجلَّى شاعرٌ بعد الحِمامْ ... يوقظُ الأعينَ حينًا وينام
وجههُ من ظلمة الموت سَفَر ... ونما من قبره مثلَ الزهَر[١٠]

* * *

كم بهذا السَهب مرَّت قافلهْ ... مثلَ سَير النُّوق رهوًا سابلهْ
غيرَ أني عاشقٌ، ديني النُّواحْ ... ثورةُ المحشر في هذا الصياحْ
أنا لحنٌ كلَّ عنه الوترُ ... لا أُبالي أَنَّ عُودي يُكسرُ[١١]
أبعدِ القطرة عن سيلٍ طما ... وانظرنَّ اليمَّ منه التطما
لا تعي موجيَ هذي الأنهرُ ... لا تعي لُجِّيَ إلا أبحرُ
ليس أهلًا لسحابي زهرةٌ ... ليس فيها لنموٍّ روضَةُ[١٢]

كم بُروقٍ نائماتٍ في الجَنانْ ضاقتْ البيدُ لديها والقِنانْ[١٣]
إن تكن صحراءَ فاطلب لجَّتي أو تكن سيناءَ فاقبِس شُعلتي
قد حُبيتُ الورِدَ من عَين الحياهْ ووُهبتُ السِّر من عين الحياهْ[١٤]
أشعلَ الذرة لحني الثائرُ رفرفتْ فهي يَراع طائر
مانثا ذا السرَّ غيري في البشرْ لم يثقب ناظم مثلي الدُرَر

أقبِلَنْ إن تَبغ عيشَ الخالدينْ
أقبِلَنْ إن تبغ مُلك العالَمين

أفشت الأفلاك لي السرَّ القديمْ كيف يُخفَى السرُّ من دون النديم؟
أَيها الساقي! من الراح اسقني وأسُ في قلبي جِراحَ الزمن
شعلةُ الماء التي من زمزم قيصرٌ يعنو لها كالخدم
مُقلةُ المُبصرِ منها أبصر وشِعابُ الفكر منها، أنور
تجعلُ الريشةَ طودًا قاهرًا وتُرى الثعلب ليثًا زائرًا
هِيَ تسمو للثُريَّا بالثَرى وتعي القطرةُ منها أبحرا
تجعل الصمت ضجيجَ المحشرِ تجعل الدُّرَّاج حتفَ الأصْقُر
املأ الكأس بصَفوٍ نيِّرِ نوِّر الفكرَ بنور القمرِ
لأقود الركب شطر المنزل باعثًا شَوْقَ السُّرى في المُقَل
رائيًا وجهَ جديدِ الأمل ساعيًا إثرَ جديد العمل
فأُرَى إنسان عين العارفين وأُرى لحنًا بأُذْن العالِمين
مُعليًا قدرَ الكلام المُبدَع مازجًا فيه غزيرَ الأدمُع
قارئًا من فيض ذا الشيخ العظيم كُتُبًا تُضمر أسرار العلومْ[١٥]
قلبهُ من شعلة الوَجد استعرْ وأنا في نَفسٍ منه شَرَرْ
قد رمى الشمعُ فَراشي باللهَبْ وغزتْ جامي الحُميًّا فالتهبْ[١٦]
صيَّر الروميُّ طيني جوهرًا من غُباري شاد كَونًا آخرا
ذرةً تصعد من صحرائها لتنال الشمس في عليائها
إنَّني في لُجِّه موجٌ جرى لأصيب الدُّر فيه نيِّرا
قد عرتْني نشوةٌ من كاسه وحياةً نلتُ من أنفاسه

* * *

لـيـلـةً رانت عـلـى قـلـبـي الـشـجـون وسرت «يا ربٍّ» في الليل السكون[١٧]
مـن فـراغ الـكـأس قـلـبـي نـائـحُ من صـروف الـدهـر شـاك صـائـح
أرهـق الـتـسـيـارُ فـكـري فـثـوى هِـيضَ سِـقْـطـاه ولـلـنـوم هـوى[١٨]

* * *

لاح شـيـخ الـحـق ذاك الألـمـعـيّ من حـكـى قـرآنـنـا بـالـفـهـلـويّ[١٩]
قـال: يـا ولـهـان بـين الـعـاشـقـين! من شراب العشق فاجرع كل حين
شُـقَّ فـي الـعـيـن حِـجـابَ الـبـصـر وأثِرْ فـي الـقـلـب هـولَ الـمـحـشـر
واجـعـلـنَّ الـضِّـحْـك يـنـبـوع الـبـكـاء وامـلأ الـعـيـن دمـوعًـا مـن دمـاءْ
أنـت كـالِـكـمِّ صـمـوتٌ أبـكـمُ انـشُـرنْ كـالـورد ريـحًـا تَـفْـغَـم[٢٠]
صعِّدنْ من كلِّ عضو، كـالـجـرس نوحك الصامتَ — في كلِّ نفَس
أنـت نـار فـأضـئ لـلـعـالَـمـيـن بـلـهـيـب مـنـك أذكِ الآخـريـن[٢١]
سِرَّ شيخ الحان أعلِنْ في هَـيـاجْ كن مُدامًا واتخذ ثوبَ الزجاج[٢٢]
وكـن الـفِـهـرَ لـمـرآة الـفِـكَـر واصدَعنْ جهرًا وأعلن ما استتر[٢٣]
حَـدِّثَـنْ كـالـنـاي عـن غـابٍ نـأَى حدثنْ قيسًا عن الحيِّ انتأى[٢٤]
جـدِّد الـنـوح بـلـحـن مـحـدَثِ ومـن الآهـات فـي الـحـفـل انـفـثِ
كـل حـيٍّ فـيـه رُوحًـا أَحْـكـمِ وزِد الـحـيَّ حـيـاة مـن «قُـم»[٢٥]
وهـلـمَّ اسـلُـك طـريـقًـا أُنُـفـا وانفِ عن قلبك ما قد سَلَفا
جـرسَ الـركْـب! تـنـبَّـه لا تـنـم واعـرف الـلـذة فـي هـذا الـنَّـغَـمْ

* * *

صـرتُ نـارًا فـي ثـيـابـي تُـسـعَـر صـرت كـالـنـاي، هَـيـاجًـا أُضـمِـر
ثُـرتُ مـن أوتـار نـفـسـي نـغـمًـا شِـدتُ من حـسـن بـيـانـي إرمـا[٢٦]

فـرفـعـتُ الـسـتْـر عـن سـرِّ خـودي
فـبـدا الإعـجـاز مـن أمـر خـودي[٢٧]

كـان كـونـي صـورة لـم تـكـمـل كـان سِـقـطًـا مُـهـمَـلًا فـي الـهـمَـل
مِـبْـرَدُ الـعـشـق بـرانـي رجـلًا كـيـفَ هـذا الـكـون والـكـمُّ جَـلا[٢٨]
فـرأت عـيـنـاي نَـبـض الأنـجُـم وبـعـرق الـبـدر دَوْراتِ الـدم[٢٩]
وبـكـيـت الـنـاسَ جـنـحَ الـظُـلَـم فـبـدا سـرُّ حـيـاة الأمـم

مَصنَعُ الكون أراني ما حواه ... فتجلَّى سرُّ تقويم الحياة
أنا — مَن في ظلمة الليل أنار ... في طريق الملة البيضا غبار[٣٠]
صوتُها في الشرق والغرب علا ... لحنُها في القلب نارًا أشعَلا
ذرَّةً ألقت وشمسًا حصدتْ ... ألفَ روميٍّ وعطَّار جنت[٣١]
آهتي الحَرَّى سَمتْ فوق العَنانْ ... عِترتي النارُ، وإن كنتُ الدخان[٣٢]
قلمي في مسرح الفكر علا ... فجلا الأسرار في السبع العُلَا

* * *

ما قصدت الشعر في هذا النَّغَم ... نحتَ أصنام وتعظيمَ صنم[٣٣]
أنا هنديٌّ شآني الفارسيّ ... وهلال أنا ذو جام خليّ[٣٤]
لا تؤمِّل عندنا حسن البيان ... لحنَ خَنْسار به أو أصفهان[٣٥]
ذاكمُ الهنديُّ يحكي السكرا ... لكن الدَّرِّيُّ أحلَى مخبَرًا[٣٦]
سحرَ الفكرَ تجلِّيه وراعْ ... فإذا لي شجر الطور يراع[٣٧]
قد علا فكري، وهذا الفارسيّ ... لاءم الفطرةَ في فكري العليّ

أيها العائب كأس الخندَريس!
انظرن يا صاح ما تحوي الكئوس[٣٨]

في بيان أن نظام العالم من الذاتية وأن تسلسل حياة أعيان الكون لا يكون إلا باستحكامها

هيكل الأكوان من آثارها ... كلُّ ما تُبصر من أسرارها
نفسَها قد أيقظت حتى انجلى ... عالم الأفكار ما بين الملا
ألفُ كون مختفٍ في ذاتها ... غيرُها يَثْبت من إثباتها
جعلت بَزر خصام بزرَها ... نفسَها تنظر فيها غيرَها
خلقت أضدادها من نفسها ... لترى لذَّتَها في بأسها
تبتلي في نفسها قوتَها ... لترى من نفسها قدرتها
خُدَعٌ من وَهمها عينُ الحياةْ ... غُسلُها في دمها عين الحياةْ[٣٩]
تُخرب البستان أجلَ الوردة ... تُكثر النوح لأجل النغمة

لـفُـلـيـكٍ واحـد ألـفُ هـلال ولـحـرف واحـد ألـف مـقـالْ
عـذرهـا فـي سَـرَفٍ أو قـسـوة أنـهـا تـبـغـي جـمـال الـخـلـقـة[٤٠]
حُـسنُ شـيـرينَ لـفَرهـادَ مِـحَـنْ ومن المسك رَدَى ظَبيُ الخُتَن[٤١]
فـي فَـراش حـرقـة كـالـشـعَـل عـذرُه فـي شـمـعـه الـمـشـتـعـلِ
ألـفَ يـوم سـطَّـرتـه يـدُهـا لـيُـجـلَّـى فـي سـنـاه غـدُهـا
ألفُ إبراهيم في النار اغتدى لسراج يُرتَجي من أحمدا[٤٢]

* * *

همَّـها الأعمال فـهي الفاعلُ وهـيَ الـعـلَّـة وَهْـيَ الـقـابـل
ثـورة فـيـهـا وإجـفـال، ونـور واحـتـراق واخـتـفـاء وظـهـور[٤٣]
سَـعـة الأيـام مَـيـدانٌ لـهـا والسماء النَقعُ يعلو سُبلَها
يدها في الطين، للكون ازدهارْ نومها الليلُ، وفي الصحو النهار
قـسَّـمـت شـعـلـتـهـا فـي شَـرَر فـرأى الأجـزاءَ عـقـلُ الـمُـفْـكِـر
تـخـلـق الأجـزاء إمـا تَـنـفـطـر تُنشـئ الـصـحـراء إمَّـا تنتشـر
ثم صارت بانتشار في ملال فاحزألَّت فبدت شمُّ الجبال[٤٤]
شيمة الذاتِ التجلِّي لا الخفاء وهي في الذرات بأس وضياء
قـوة صـامـتـة جـلـفُ عَـمَـلْ عـمـلُ الـيـوم لآتـيـهـا عِـلـل
قوة الذات من الكون النواهْ فعلى قدر القُوَى قدر الحياه
كِـلـمـة الـذات تـعـيـهـا قـطـرةُ فـإذا الـقـطـرة يـومًـا درَّةُ
خارت الخمر فلا شكل لها ومن الكأس استعارت شكلها[٤٥]
وسها طود عن النفس فحار فغدا صحراء تغشاها البحار[٤٦]

* * *

يُـعـقَـد الـنـور لـخـلـق الـمـقـلـة تـخـفـق الـعـين بـشـوق الـجَـلـوة
وإذا الـعـشـب نـمـاءً أضـمـرا شقَّ صدر المرج حتى يظهرا
يـجـمـع الـشـمـعُ بـعـزم نـفـسَـه ومـن الـذرات يُـعـلـي رأسـه
ويُـذيـب الـنـفـس إمَّـا غَـفَـلا فـتـراه دمـع عـيـن هـمـلا[٤٧]

* * *

شدَّت الأرض قُواها فالقمر   في طواف حولها لا مستقَرّ
وكيانُ الشمس منها أكبرُ   فلها عَين ذُكاءٍ تسحَر
وعلا الحَورُ فهَال الناظرا   وعلا الطودَ أبيًّا قاهرا
وارتدى كسوة نار حاميهْ   أصله حبة نبت آبيهْ[٤٨]
إنَّ ذاتا جمعتْ أسْرَ الحياهْ
من غدير أزخرت بحرَ الحياه[٤٩]

في بيان أن حياة الذات بتخليق المقاصد وتوليدها

إنما يُبقي الحياة المقصِدُ   جَرَسٌ في ركبها ما تَقصد[٥٠]
سِرُّ عيشٍ في طِلابٍ مُضمَر   أصلُه في أمل مستترُ
أحيِ في قلبك هذا الأملا   لا يَحُلْ طينُك قبرًا مُهمَلا
يخفق القلب به بين الصدورْ   هو في صدرك مرآة تُنير
يهَبُ التربَ جَناحًا يَصعَد   ولموسى العقلِ خِضرًا يُرْشِد[٥١]
إنما يَحيا الفؤادُ الآملُ   وإذا حيٌّ يموت الباطلُ
فإذا عَيَّ بتخليق المُنَى   هِيضَ سِقطاه وأودَى وَهَنا
أملُ الذاتِ لهيبٌ يَستعِرْ   أو هو الموج الذي لا يستقِرْ
وهَقُ المقصودِ حَبْل الأمل   إنه خَيْط كتابِ العمل[٥٢]
ومماتَ الحيِّ فقدان الرجاء   يُطفِئُ الشعلةَ فِقدان الهواء

* * *

كيف فينا أعين قد ظهرت؟   لذةُ الرؤية فينا صوِّرت[٥٣]
من مُنَى التَّخطارِ رِجلُ الحجَل   مِن مُنَى التغريد حَلقُ البلبل
حَيَّ نايٌ قد نأى عن غابه   أطلق النغمة من أوصابه
ذلك العقل الذي الكونَ طوى   وتَرى الإعجاز فيه والقُوَى
إنما أصل الحياة الأملُ   فكذاك العقل منه يُنسَل[٥٤]

* * *

ما نظامٌ في شعوبٍ وسُنن؟ ما تَرى التجديدَ في علم وفنّ؟[55]
أملٌ من قوة فيه ظهرْ يَرحَ القلبَ فغشَّته صُوَر
كل ما نملك من هذي الحواسّ كلُّ عُضو فيه للعيش التماس
كل فكر وخيال واعتبار كل حسٍّ وشعور وادِّكارْ
هي آلات الحياة الجاهدة حين تَمضي في وغاها صامده
ليس قصد العِلم والفنِّ الفِكَر ليس قصد المرج ألوانَ الزهَر
إنما العلم وِقاءٌ للحياةْ إنه للذات تقويم النجاةْ
للحياة العلمُ والفنُّ خَدَم للحياة العلم والفن حَشَم

* * *

جاهلًا سرَّ الحياة! اجتهدِ وامض نشوانَ بخمر المقصدِ
مقصدٍ كالصبح في أنواره محرِقٍ كل «سِوًي» في ناره
مقصدٍ يجتاز آفاق السماء يأخذ القلب بحُسن وبهاء
ثورة فيه وفيه محشرُ وعلى الباطل حربًا يُسعِر
نحن أحياء بخلق الأملِ
نحن في نور بهذي الشُّعل

في بيان أن الذات تستحكم بالمحبة والعشق

نُقَط النور التي تُدعَى الذواتْ شررٌ في طيننا للحَيَواتْ
مُشعَل بالحبِّ منها الجوهرُ يتجلَّى من قواها المضمر
قطرةٌ بالعشق تُوعِي ضرَما وهي بالعشق تُنير العالَما[56]
لا يهاب العشقُ في السيف المَضاءْ ليس من ماء وترب وهواءْ
هو في العالم صلح وخصامْ للحياة الماء من هذا الحسام
نظرة العشق بها شَقُّ الصخور هو عشقُ الحق، والحقَّ يَصير
فابغ في طينك هذي الكيمياءْ اقبِسَنْ من كاملٍ هذا الضياء[57]
امض كالروميِّ شَمعًا يَشتعل وارم من تبريز في الروم الشُّعَل[58]
إن في قلبك معشوقًا ثوى أقْبلَن أنبئْك عن هذا الجَوى

عـاشـقـوه قـد شـأوْا كلَّ جـمـيـل حبُّـهـم فـي كل قـلـب لا يَـحـولْ
عشـقُـه فـي الـقـلـب نـورٌ أسـفـرا لـلـثـريـا يـرتـقـي مـنـه الـثـرى[٥٩]
تُـربُ نـجـدٍ مـنـه قـد خـفَّ وضـاء طار وجدًا مُصعِدًا نحو السماء
مهجة المسلم مَثْوى المصطفى عِزَّةُ المسلم ذكرى المصطفى
مـوجَـةٌ مـن نَـقْـعـه الـطـورُ الأشـمّ داره، لـلـكـعـبـة الـعـظـمـى حَـرَمْ
ضــاق عــن آنٍ حــواه الأبَــدُ مــســتَــمــدٌّ مــن مَــداه الأمــد
آثـرت سُـحـق حـصـيـر عـقَّـتـهْ وعَـلـت تـيـجـانَ كـسـرى أُمَّـتُـه
خــلــواتٌ فــي حِــراء خَــلَــقــا أمَّـةً مِـنْـهـا وحُـكـمًـا مُـشـرِقـا
كم لـيـالٍ قـد قـضـاهـا سـاهـدا فـحـبـا الأمـة مُـلـكًـا خـالـدًا
سيفه في الحرب قَطَّاع الحديدْ عينُه في الذكر بالدمع تجود
سيفه «آمين» تمحو الظالمين حين يدعو الحقُّ بالنصر المُبين
سُـنَـنًـا فـي كـونـنـا قـد جـددا ومـن الـمـاضـيـن مُـلـكًـا بـدَّدا
فـتـح الـدنـيـا لـه مـفـتـاحُ ديـنْ عـقِـمـتْ عـن مـثـلـه أمُّ الـسـنـيـن
اسـتـوى مـولًـى لـديـه وغـلام هـو والعـبـد سواء في الطعام[٦٠]

* * *

أسِـرتْ فـي غـزوة بـنـتُ الـجـواد مـن عَـلا طـيًّـا بـجـدواه وسـادْ[٦١]
رجلها في القيد والرأس حسيرْ مُطرقٌ في ذلِّه الطرفُ الكسير
بُـردَةً ألـقـى عـلـيـهـا سـاتـرًا إذْ رأى وجـهًـا ورأسًـا حـاسـرًا
نحن أعرى في الورى من أختِ طيّ ليس يكسونا لدى الأقوام شيّ
هـو فـي الـدنـيـا عـلـيـنـا سـاتـرُ وهـو فـي الـحـشـر إلـيـنـا نـاظـر
لـطـفُـه والـقـهـر كـلٌّ رحـمـةُ لــصــديــق وعــدوٍّ رأفــةُ
وبـيـوم الـفـتـح هـذا الـغـافـر قـال: «لا تـثـريـب» وهـو الـقـادر[٦٢]
إنــنــا مــن قَـيـد أوطـان بَـراء نـحـن من عينين نورٌ لا مِراء[٦٣]
نـحـن فـي مـغـربـنـا والـمـشـرقِ كالندى في وجه صبح مُشرق
أسكرتْنا عينُ ساقٍ في البطاح كزجاج نحن في الدنيا، وراح[٦٤]
قد محا الأنسابَ طُرًّا ذا العظيم نـاره قـد أحرقت هذا الـهـشـيـمْ
نــحــن زَهــر وشَـذانـا ائـتـلـفـا ضــمِّــنــا مــنــه نــظــامٌ ألِّــفــا

نحن كنَّا سِرَّه في قلبه فأذاعت صيحةُ الحقِّ به

* * *

عشقه ثار بعودي الصامتِ ألفُ لحن في فؤادي الساكت
ما حديثي عن ولاء واشتياقْ؟ قد بكى جذعٌ مَواتٌ للفراق[٦٥]
صورتي قد أوضحتْ مرآتُه أنا صبحٌ أطلعتْ آياتُه
ثورةُ الحشر بليلي النائمِ وهدوئي في اضطراب دائم
إنني البستان في آذاره في عروقي الماء من أمطاره[٦٦]
قد غرست العين في حقل الوداد من سراح العين لي هذا الحصاد[٦٧]
قد شأى الدارَين من يثرِبَ طِيبْ حبذا دار بها مثوى الحبيب!
أنا للجاميِّ في الشعر فداء نظمه والنثر من جهلي دواء[٦٨]
قال بيتًا بالمعاني يفهق فيه دُرٌّ من مديح يبرُقُ
هو عنوان كتاب العالَمين سيد الكونين، مولى الثقلَين

* * *

كم يُريك العشقُ من صهبائه فترى التقليد من أسمائه[٦٩]
أحكِم العشقَ بتقليد الحبيبْ لتنال القربَ من ربٍّ مُجيب
في حِراء القلب فاقعد خاليًا وإلى الحق فهاجر راضيًا
اقويَنْ بالحق ثم ارجع إليك واحطمنَّ اللات والعزَّى لديك[٧٠]
اقويَنْ بالعشق في سلطانه وابتغ الجلوة في فارانه[٧١]
تظفرْن بالقرب يا ذا السائل!
وتكن تفسير «إني جاعل»[٧٢]

في بيان أن الذات تضعف بالسؤال

أيها الجابي من الأُسْد الخراجْ! صرت كالثعلب خِبًّا باحتياج
ذلك الإعواز أصلُ العِلل كلُّ آلامك من ذا المُعضِل
سالبُ الرفعة من فكر رفيعْ مطفئُ الشمع من الذهن البديع

من كنوز الدهر أخرج ما تريد　　وخذ الصهباءَ من دَنِّ الوجودْ
وعن الرَحل ترجَّل كعمر　　احذَرن من مِنَّة الناس، الحذَر[٧٣]
صاح! حتَّامَ اجتداءُ المنصِب؟　　فيم كالطفل ركوبُ القصب[٧٤]
تجد الإفلاسَ بالسؤل أذلّ　　وترى السائلَ أخزى وأقلّ
فرَّق الذاتَ سؤالٌ واجتداء　　فبدت سيناؤها دون ضياء[٧٥]
إن يكن في الرزق والجَدِّ عَناء　　وطغى حولك سيلٌ من بلاءْ
لا ترُم في الأرض رزقًا بالبكاء　　لا ترجَّ الماء من عين ذُكاء[٧٦]
احذر الخزي أمام المصطفى　　يوم يَخزى كل ساع ما وَفى
من سماط الشمس يقتات القمرْ　　فعليه وَسمُ نُعماها ظهر[٧٧]
جاهد الأيام والله استعِنْ　　ماء وجه الملة البيضاء صُنْ
علَّم الناس الصدوقُ الصائب　　أنْ «حبيبُ الله ساعٍ كاسبُ»[٧٨]
ويح من يحمل ذلَّ النعمةِ　　خافضَ الرأس لثِقْل المنَّةِ
أرهقَ النفس بوقر الذلة　　بنقيرٍ باع تاج العزة
مرحبًا بالظامئ الضحيانِ لا　　يسأل الخِضْر شرابًا في الفلا[٧٩]
بسؤال الناس لم يُند الجبينْ　　ذا كم الإنسان، لا ماء وطين
تحت هذي الشمس يَمضِي ذا الفتى　　عاليَ الرأس كسَرْو قد عتا
زاد في العُسر مضاءً حدُّهُ　　هو يقظانُ وغافٍ جَدُّه[٨٠]

كُن حَبابًا من عطاء ينفر
فارغَ الكأس ببحر يَزخَر[٨١]

في بيان أن الذات تستحكم بالمحبة والعشق فتسخر قوى العالم الظاهرة والباطنة

أمرها في الكون طرًّا يَحكم　　حينما الذات بعشق تُحكَم[٨٢]
يدها من قوة الحق أثرْ　　فإذا ما أومأت شُقَّ القمر
في خصومات الورى أقوى حَكَمْ　　صاغرٌ في حكمها دارا وجَمْ[٨٣]
اسمعن مني حديثًا عن وليّ　　اسمه في الهند مشهورٌ عليّ[٨٤]

ذلك الصِّداح في المرج القديم قصَّ أخبارًا عن الورد الشميم[٨٥]
سالكٌ سكران من خمرته قصد الأسواق في بغيته
وأتى العاملُ في موكبه معه الحرَّاس قد حفَّتْ به
صاح للتطريق جنديٌّ نكير أيها الأحمق أفسِح للأَمير
ومضى الدرويش في تَسياره غارقًا في اللجِّ من أفكاره
فأتى ربُّ العصا في شِرَّته ضاربًا رأس الفتى في غفلته
فتنحَّى عن طريق العامل وهْو في ذعر وحزن قاتل
ومضى يشكو إلى شيخ الطريق دَمعُه من محبس العين طليق
زمجر الشيخ بقول من ضَرَم مثلَ بَرقٍ في ذُرى الطود اضطرم
ثم أملى الشيخ سطرًا من لَهبْ قال للكاتب في نار الغضبْ
أمسك المِزْبَر واكتب ذا النذير أبلغ السلطان عن هذا الفقير
عامل عندك غِرٌّ قد عصا وعلا رأس غلامي بالعصا
اعزل العامل، هذا الفاجرا أو أهَبْ مُلكك مَلْكًا آخرا
عبد حق فيه لله احتساب أرعد السلطانَ منه ذا الكتاب
آدهُ غمٌّ وخوف لا يحول فحكى في لونه شمس الأصيل
قيَّد العامل بالقيد الثقيل واستغاث الشيخَ للصفح الجميل
ورأى خُسرو له خير سفير ذلك الكوكَب وضاء الضمير[٨٦]
ساحر الألباب في ألحانه مستمد الغيب في تِبيانه
ولَها خسرو بأوتار الرباب فأهاج الشيخَ وجْدًا وأذاب
فطرةٌ كالطود في عزَّتهِ خشعت للَّحن في رقَّته

احذرن لا تجرحَن قلب فقيرْ
لا تزُجَّ النفس في نار السعير

قصة في معنى أن مسألة نفي الذات من مخترعات الأمم المغلوبة لتضعف الأمم الغالبة بهذه الطريقة الخفية

قد سمعنا أن في عصر قديم   جمعَ ضأنٍ كان في مَرعًى يُقيمْ
وفَرَتْ نَسْلًا بذا المرعى الخصيب   فارغاتِ البال من ليث وذيبْ
ثم ألْوَى بمُناهنَّ القدَر   ورمَى بالسهم فيهنَّ الدهَر
دهمتها الأسدُ من آجامها   ناشراتِ الذعر في أيَّامها
آيةُ القوة حكم قاهر   سرُّها الظاهر فتح الظافرُ
ضربَ الليث طبول النوبة   آخذًا آفاق هذي الثلَّة[87]
وكسى المَرعى بصبغ أحمرا   ما سِوَى الفَرسِ لدى أسْد الشَّرى

* * *

وانبرى كبش ذكيٌّ ذو عُمُر   جرَّب الأحداث من حُلو ومُرّ
غمَّه ما قد يعاني سِربُه   من فِعال الأُسْد يَدمَى قلبُه
أمرَه أحكمَ في تدبيره   وهو يشكو الدهر في تقديره
باحتيال العقل يحمي نفسه   كلُّ رِخوٍ ليس يرجو بأسه
قوة التدبير في دفع الضرر   في زمان الضعف أقوى وأمرّ
فإذا ما ثار للثأر الجنونْ   صار عقل العبد خلَّاقَ الفتون
قال: أمر حار فيه العاقلُ   بَحرُ غمٍّ ليس فيه ساحِلُ[88]
كيف للضأن قتالُ الأسَدِ   ساعدٌ رِخوٌ وفولاذُ يدِ[89]
ليس وعظٌ من بليغ قادرًا   أن يردَّ الكبش ذئبًا كاسرا
لَكن الليثُ تراه حَمَلًا   إن سها عن نفسِه أو غفَلا
فادَّعى في القوم دَعوى مُلَهم   مرسَلٍ للأسد شُرَّابِ الدم[90]
قال: كلُّ القوم «كذَّاب أشِرْ»   غافل عن يوم نحس مستمرّ[91]
جئتُ للناس بشرعٍ مُحكَم   إنَّني النورُ لطَرْف مُظلِم
عجِّلوا التوبة عن كل قبيحْ   واتركوا الخُسرَ إلى الفعل الربيحْ
ويحَ جَلْد أُحكمت فيه قُواهْ   «نفيُ الذات» هو إحكام الحياه[92]
علَف العُشبِ به الروح تطيبْ   عائفُ اللحم إلى الله قريبْ
حدَّةُ الأسنان عارٌ مُبرَم   بصرُ الإدراك منها يُظلم

إنـمـا الـقـوةُ خـسـرانٌ مـبـيـنْ　　خُصَّت الجنة بالمستضعفين
طلبُ السلطان شرٌّ مستطيرْ　　خـيـرٌ الـفـاقـةُ مـن عـزِّ الأمـيـرْ
تـأمـن الـحـبـة بَـرقًـا مُـحـرِقـا　　وتـرى الـبـيـدرَ مـنـه مـحـرَقـا[٩٣]
ذرةً كُـنْ لا كـثـيـبًـا أفـيـحـا　　لتنال النور من شمس الضحى
قُـلْ لـمـن يُـزهَـى بـذبـح الـغـنـم　　اذبـح الـنـفـس بـحـقٍّ تـغـنَـمِ
يقطع السُبْل على هذي الحياه　　قـوةٌ فـيـهـا وسـلـطـانٌ وَجـاه
يـوطأُ الـعـشـبُ فـيـنـمـو صُـعُـدا　　يفتح الأعينَ من بعد الردى[٩٤]
أغـفِـلَـنْ نـفـسـك إمَّـا تـعـقـلِ　　إنما المجنون من لم يُغفل
أسـدُن عـيـنًـا وأذنًـا وفـمـا　　ليجوز الفكر أَقطارَ السما[٩٥]
هـذه الـدنـيـا فـنـاءٌ فـي فـنـاء　　إنـهـا وهـم فـمـا فـيـهـا رجـاء

* * *

كـانـت الأسـدُ جـهـادًا مَـلَّـتِ　　نـازعـات نـحـو عـيـش الـدَّعـة
عن هوًى أصغتْ إلى النصح المُنيمْ　　فدهاها الكبش بالسحر العظيم
كان فَرس الضأن من سُنَّتها　　فاقتدت بالضأن في شِرْعتها
جـوهـرُ الأسـاد أضـحـى خـزَفًـا　　حين صار القوت هذا العلَفا
ذهـب الـعُـشـبُ بـنـابٍ ذي أَشَـر　　أطـفـأ الأعـيـنَ تـرمـي بـالـشَـرَر
ذلـك الـقـلـب عـن الـصـدر نـأى　　جـوهـر الـمـرآة فـيـهـا صـدِئـا
فذوى في القلب شوق العَملِ　　وهُـيـامُ الـسـعـي خَـلْـف الأمـل
ذهـبَ الإقـدامُ والـعـزمُ الألـيـلْ　　والـسـنـا والـعـز والـمـجـد الأثـيـلْ
بُـرثـن الـفـولاذ فـيـهـا قـد وهـن　　واستكان القلب في قبر البدن
ونـمـا الـخـوف بـنـقـص الـمُـنَّـة　　قَـطَّـع الـخـوف جـذور الـهـمـة
كـل داء فـي سـقـوط الـهـمـم　　يـجـعـل الأحـيـاء مـثـل الـرِّمَـم

نـامـت الأسـد بـسـحـر الـغـنـم
سـمَّـت الـعـجـزَ ارتـقـاءَ الأمَـم

في بيان أن أفلاطون اليوناني الذي أثرت آراؤه في تصوف المسلمين وآدابهم كان على هذه الطريقة الغنمية وأن الاحتراز من آرائه واجب

راهبُ الماضين أفلاطُ الحكيم — من فريق الضأن في الدهر القديم
طِرفُه في ظُلمة المعقول ضلّ — في حزون الكون قد أعيا وكلّ
فكره في غير محسوس فُتِن — صدَّ عن كفٍّ وعَين وأذُن[٩٦]
قال: في الموت بدا سرُّ الحياة — في خمود الشمع يزداد سَناهْ
حُكمه في فكرنا جِدٌّ عظيمْ — يمحق الدنيا له جامٌ مُنيم
هو شاةٌ في لباس الآدميّ — وهو في الصوفيِّ ذو بأس قويّ
عالَم الأشياء سمَّاه الهراء — وعلت أفكاره فوق السماء
فعله «تحليل أجزاء الحياه» — وجفاف النبع من ماء الحياه
زعم الخسرانَ ربحًا فكرُهُ — ودعا الكونَ فناءً سحرُه
فكرهُ يُغفِي ورؤيا يخلُقُ — عينه تُبصر آلّا يَبرُق[٩٧]
حُرم المسكين حبَّ العملِ — فقفا معدومَه لا يأتَلي
منكرًا في الكون ما لا يُفقَد — خالقًا في الكون ما لا يُشهَد
عالَم الإمكان للحيِّ وطن — عالم الأعيان للمْيت حَسَن[٩٨]
ظَبيهُ من خفة لا يَجفَل — غيرُ خطَّارٍ لديه الحجَل[٩٩]
لم يُلألئْ عنده قطرُ الندى — طيرُه ما فيه صوت قد شدا
حبةٌ في أرضه تأبى النماءْ — وفراشٌ عنده يقلي الضياء[١٠٠]
في وغى العالم نِكسٌ مُحجِمُ — مُشفقٌ راهبُنا لا يُقدِم
قلبه يَعشو لنارٍ خامدهْ — صوَّرتْ عيناه دنيا هاجدهْ
طار من عش إلى الأوج العَليّ — ثم لم يرجع إلى العش الخليّ[١٠١]

هُلك أقوام بهذا الثَمَل
حُرِمُوا بالنوم ذوق العملِ

في حقيقة الشعر، وإصلاح الآداب الإسلامية

حرقة الإنسان من كور الأملْ   نارُ هذا الطين من نور الأمل[١٠٢]
إنه الخمرة في كأس الحياهْ   وبه وقدةُ أنفاس الحياهْ
الحياة الحق تسخير الدُّنى   وإلى التسخير تَدعوها المُنَى
هي للمقصود في الدنيا سبيل   وهي للعشق من الحسن رسول
أمل الإنسان أنيٌّ يظهر   كيف يشجو الحيَّ هذا المزِهر؟
كلُّ خير وبهيج وجميل   هو في بيدائنا نعم الدليلْ[١٠٣]
حُسنُه في القلب نور يسطع   تجد الآمال منه تطلع
خلق الحسنُ نضيرَ الأمل   وأدام الحسنُ نورَ الأمل

* * *

مطلع الحسن ضمير الشاعر   طُورُه صبح الجمال الباهر
زادت الحسن جمالا نظرتُهْ   زادت الفطرةَ حبًّا صنعتُه
غرَّد البلبلُ من تلحينه   ضاءَ خدُّ الورد من تلوينه
ناره كلَّ فَراش كاويهْ   قِصصُ العشَّاق منه زاهيهْ
مضمر في خلفه بحر وبر   ألْف كون محدَثٍ فيه استتر
كم شقيق في الحشا لم يطلُعِ   وغناءٍ وبُكًى لم يُسمَع[١٠٤]
فكره للبدر والنجم نجيّ   يُبدع الحسنَ، وفي القبح عييّ
خَضِرٌ في ليله ماء الحياه   تُزهر الأكوانُ من ماء بُكاه[١٠٥]
نحن أغرار بِطاءُ الأرجُل   ضلَّ سارينا طريقَ المنزل
لطُفتْ في سَيرنا حيلتُه   وعلت في ركبنا نغمتُه
يحفز الركب لفردوس الحياه   ويُتمُّ الدَور في قَوس الحياهْ[١٠٦]
فمضى الركبان إثر الجرَس   وشدا الحادي بصوت مؤنِس
وسرَت في زَهرنا نفحتُه   مذ سرت في روضنا نسمتهُ
نفَسٌ منه حياةٌ تُزْهِر   حُرَّة لوَّامةٌ لا تصبرُ
يأدِبُ الناس جميعًا للقِرى   نارُه كالريح تسري في الورى

* * *

ويـل قـومٍ لـهـلاكٍ طـائـرُه	صدَّ عـن وِرد حـيـاة شـاعـرُهْ
كـلُّ حُـسْـنٍ شـاهَ فـي مـرآتـه	في الجسوم السمُّ من جَرعاته
تُـذبـلُ الأزهـارَ مـنـه الـقُـبَـل	ويَـعـاف الـشـدوَ منـهـا الـبـلـبـلُ
تـهِـن الأعـصـاب مـن أفـيـونـه	ويـمـوت الـحـيُّ مـن تـلـحـيـنـه
يسـلـبَ الـسـروَ جـمـيـل الـمَـيَـل	ويردُّ الـصـقـر مثل الـحَـجـل[١٠٧]
هـو حُـوتٌ نـصـفـه كـالآدمـيّ	كبنات البحر تقتاد الغويّ[١٠٨]
يُسحر الربَّان منها باللحون	ولـقـاع البحر تـهـوي بالسفين
يسـلـب الـقـلـب ثـبـاتًـا لـحـنُـه	ويُـرِي الـمـوت حـيـاة فَـنُّـه
يُـلـبِـس الـنـفـع لـبـاسَ الـضـرر	ويُـري الـحـسـنَ قـبـيـح الـصُّـور
في بـحـار الـفـكـر يُـلـقـيـك فـلا	تشـتـهـيه أو تطيق العـمـلا[١٠٩]
شِـعـره فـيـنـا يـزيـد الـكـلـلا	كـأسـه فـيـنـا تـزيـد الـمـلـلا
سَـيـلَ بـرقٍ مـا حـوى نيـسـانـه	آل لَـونٍ وشـذًى بـسـتـانـه[١١٠]
فـنُّـه بـالـحـق لا يـعـتـرف	بـحـره مـا فـيـه إلا الـصـدَفُ
نـوَّمـتْ ألـحـانُـه يـقـظـتَـنـا	أطـفـأت أنـفـاسـه شـعـلـتـنـا
بـلـبـلٌ سُـمُّ قـلـوب نـغَـمُـه	ضِـغْـثُ ورد فـيـه يـثـوي أرقـمـه
خـمـره الـلألاءةَ اتـرك واحـذرِ	كـأسَـه والـطـاسَ والـدَّنَّ اهـجـرِ
يـا صـريـعًـا خـمـرَه يـغـتـبـق	لك صبح من سناها مشرقُ
يـا بَـرود الـقـلـب مـن ألـحـانـه	قد شربت السمَّ من تبيانه
يـا دلـيـلًا لـلـردى أفـكـارُهُ	عُـطِّـلَـت مـن نـغـم أوتـارُه
أنـت لـلـذلِّ أرحـتَ الـبـدنـا	أنت للإسلام عارٌ في الدُّنَى
من نـسـيم مَـرَّ يَـدمَـى خَـدُّكـا	بـعـروق الـورد يُـلـوَى قَـدُّكـا
أخزت العِشقَ دُجًى صيحاتُكا	غضَّ من صورته بِهزادُكا[١١١]
شاحبَ الوجه بدا من ضُرِّكا	بـردت نـيـرانُـه مـن قُـرِّكـا
عـاجـزُ الـهـمـة مـن ذلـتـكـا	وعـلـيـل الـروح مـن علَّـتـكـا
أدمـع الأطـفـال فـي كـاسـاتـه	كـنـزه مـا اعـتـدَّ مـن آهـاتـه
آه مـن وغـدٍ ذلـيـل يـائـس	هـالـك مـن رَكَـلات الـحـارس[١١٢]
صـار كـالـنـاي هـزيـلًا نـائـحًـا	شـاكـيَ الأقـدار جـهـلًا صـائـحًـا

ليس إلا الحقدُ في جوهرِهِ ليس إلا العجزُ في مخبره
يائس فَلٌ حليف الخيْبة شقوةٌ في خِسَّةٍ في ذلة[١١٣]
نَوحُه روحك منه في سَقامْ قد حَمى جيرانَه طيبَ المنامْ
ويحَ عشق قد ذكا في الحرمِ نارُه باخت ببيت الصنمِ!

* * *

صيرفيَّ القول! إن تبغ النجاهْ فاجعلن معياره نارَ الحياه
نيِّرُ الفكر يقود العملا مثلَ برق قادَ رعدًا جلجلا
مَن بفكرٍ صالح في الأدبِ؟ ارجَعنْ يا صاحِ شطر العرب[١١٤]
وسُلَيْمي العُرب يا صاح اعشقا لترى صبح الحجاز ائتلقا
في رياض العجم قطَّفتَ الزهَرْ في ربيع الهند سرَّحت البصر
من حَرور البيد فاشرب يا رفيقْ واشربن من تمرها الراحَ العتيقْ
أَسْلِمَنْ رأسك يومًا صدرَها وأْلَفَنْ في حرِّها صرصَرها
قد لبست الخزَّ طول الزمنِ فألف الكِرْباس يومًا واخشُنِ
كم وطئتَ الورد في طول المدى غاسِلًا، كالورد، خدًّا بالندى
فعلى رمل الصحاري المُضرَمِ أقدِمَنْ يومًا وغُصَّ في زَمْزَمِ
فيم هذا النوحُ مثلَ البلبل؟ وإلام العُشّ بين الظُّلَلِ؟
قد علا جَدُّ الهُما من صيدكا اجعلن في الطود مثوى عشكا[١١٥]
ابن عُشًّا حيث لا تَرقَى الأَنوقْ تختفي فيه رعود وبروقْ[١١٦]
لتُرى أهلا لأعصار الحياهْ
وتُذيب النفسَ في نار الحياهْ

في بيان أن التربية الذاتية ثلاث مراحل: الأولى الطاعة والثانية ضبط النفس والثالثة النيابة الإلهية

المرحلة الأولى: الطاعة

أُلْـفَـة الـكـدِّ شـعـارُ الـجـمـلِ   شـيـمـة الـصـبـر وَقـارُ الـجـمـلِ
صامتَ الأخفاف يمشي ماضيًا   زَورقًا في البيدِ يَسري هاديا
نقشت وجهَ الصحاري أرجُلُهْ   شـاردَ الـنـوم قـلـيـلًا أُكُـلـهْ
ثمِلًا يختال تحت المحمَل   راقصًا يُقدمُ شطر المنزلِ
في المَدى من راكبيه أصبرُ   هائمٌ بالسير، عُجبًا يَخِطر

* * *

فاحمل الفَرض قويًّا لا تهابْ   وارجوَنْ مَن عنده حسن المآب[١١٧]
اجهدن في طاعة يا ذا الخسارْ   فمن الجبر سيبدو الاِختيار[١١٨]
بامتثال الأمر يعلو من رسبْ   وهَوى الطاغي ولو كان اللهب
سـخَّـر الأفـلاكَ فـي هـمَّـتـهِ   مَن ثوى في القَيد من شِرْعَتِه
قد سرى النجمُ يؤمُ المنزلا   طـوعَ قـانـون لـه قـد ذُلِّـلا
ونما العشب بقانون النماءْ   فإذا ما حاد يُجفَى بالعراءْ
ولـهـيـبٌ دائـم ديـن الـشـقـيـقْ   دمَه من ذاك يسري في العروق[١١٩]
يربط الذراتِ قانونُ الوصالْ   فهي بَحرٌ وهي برٌّ باتصال
كلُّ شيء فيه قانونٌ سرى   كيف في هذي المعاني يُمترى؟[١٢٠]
ارجعنْ يا حُرَّ دُستورٍ قديمْ   زَيِّنَنْ رجلك بالقيد الوسيمْ
شدَّةً في شرعنا لا تشكوَنْ
وحدودَ المصطفى لا تعدُون[١٢١]

المرحلة الثانية: ضبط النفس

جَملٌ نفسُك تربو بالعلَف في إباء وعنادٍ وصلَفْ
فكن الحرَّ وقُدْها بزمامْ تبلغن من ضبطها أعلى مَقامْ
كلُّ من في نفسه لا يحكمُ هو في حُكم سواه مُرغَمُ
إنما صوِّرتَ من طين لَزبْ سيط في أمشاجه خوف وحبّ
خيفةُ الدنيا وخوفُ الآخره خوف مَوتٍ ورزايا فاقره
حبُّ جاه وثراءٍ وبلدْ حُبُّ زوج وقريب وولدْ
من مزاج الطينِ والماء البدن مَركبُ الأهواء، مَغلوبُ الفتَن
من يَمسَّك بعصًا من «لا إله» فلتحطِّم طِلْسم الخوف يداه[122]
كلُّ مَن بالحق أحيا نفسهُ لا ترى الباطلَ يُحني رأسَهُ
ليس يدنو الخوفُ منه أبدا ليس، غيرَ الله، يخشى أحدا
كل من موطنه إقليم «لا» من قيود الزوج والوُلد خلا[123]
مُعرضٌ عما سوى الله الأحدْ يضع السكين في حلق الولَدْ[124]
واحدٌ من نفسه في عسكرِ يَبذلُ الروحَ بيوم الخطَرِ

* * *

درةُ التوحيد، فاحفظها الصلاة حَجُّك الأصغر، فاعرفها الصلاة
في يد المسلم هذا الخنجرُ يُقتَل الفحشُ به والمنكرُ
يفتك الصومُ بجوع وصدَى ضابطًا بالقسط هذا الجسدا
وينيرُ الحج قلبَ المؤمنِ هجرةُ الأهل به والوطنِ
إنما الطاعة أسُّ الأمة إنها خيط كتاب الملة[125]
بالزكاة العابدُ المالِ ادَّكرْ علَّمت حبَّ المساواة البشرْ
تُكثر المالَ، وشُحًّا تمحق «لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا»
تلك أسبابٌ بها تَستحكِمُ إن يكن في القلب دينٌ مُحكَم

اقوَ يا مؤمنُ بالله القويّ
تحكُمَن في ذلك البَكر الأبيّ[126]

المرحلة الثالثة: النيابة الإلهية

إن خَطمتَ الصعبَ قدتَ العالما ... نافذَ الأمر عليه حَكمَا[١٢٧]
مشرقًا في الأرض ما دار الفلك ... فترى المُلك الذي يخلُد لكْ
نائب الحق على الأرض سعيدْ ... حكمُه في الكون خُلدٌ لا يبيدْ
هو بالجزء وبالكل خبير ... وبأمر الله في الأرض أميرْ
في فسيح الأرض يمضي طاويا ... عزمه، هذا البساط الباليا[١٢٨]
ينجلي من فكره مثلَ الزهر ... غيرَ هذا الكون أكوانٌ أُخَر[١٢٩]
يُنضج الفكرة فينا بالضرَمْ ... يُخرج الأصنام من بيت الحرمْ
رنَّ عودُ القلب من مضرابه ... يقظٌ في الحق نَومانُ به[١٣٠]
باعثٌ في الشَيب ألحان الشبابْ ... ناشرٌ في الكون ألوان الشباب
هو في الناس بشير ونذيرْ ... وهو جُنديٌّ وراع وأميرْ
مقصدٌ مِن «علَّم الأسما» هُوه ... سرُّ «سُبْحَانَ الَّذي أَسْرَى» هُوَه[١٣١]
مُحضِرٌ من تحته طِرفُ الزمانْ ... حينما يمسكُ منه بالعِنان[١٣٢]
يبعث الأرواحَ منه قولُ «قم» ... وهي في أبدانِها مثلُ الرمم[١٣٣]
ذاتَه تتبعُ ذاتُ العالَم ... سطوةٌ فيه نجاةُ العالَم
يبعث الميتَ بإعجاز العملْ ... قِيَم الأعمال منه في بدَل[١٣٤]
سيرُه يخضرُّ في بيدائه ... كم كليم هام في سينائه!
جدَّد الدنيا بتفسير جديدْ ... عبَّر الرؤيا بتعبير جديد
كونُه المكنونُ أسرارُ الحياةْ ... نغمةٌ يُضمرُ مزمارُ الحياةْ
شاعرُ الفطرة عنَّى طبعَه ... ليقيم الوزنَ إذ أبدعه
نقعنا ثار إلى أوج السماء ... فبدا الفارس من هذا الهباء[١٣٥]

* * *

في رماد اليوم منَّا ترقُدُ ... شُعلةٌ يرمي بها الكونَ الغدُ
روضة تُضمرها أكمامُنا ... ضاءَ من صبح غدٍ أبصارُنا[١٣٦]
أنت يا فارسَ طِرف الزمنِ! ... أنت يا نورًا لعين الممكن
موكبَ الإنشاء هيَّا زيِّنِ ... وتمكنْ في سواد الأعْيُن
قم فسكِّن من ضجيج الأممِ ... واملأ الآذان زهر النغَم

جدِّدَن في الناس قانون الإخاءْ وأدِرها كأسَ حبٍّ وصفاءْ
أبلغ الناس رسالاتِ السلامْ وأعدْ في الأرض أيام الوئام
من بني الإنسان أنت الأملُ أنت من ركب الحياة المنزلُ
أذْبلَتْ كفُّ الخريف الشجرا فاغدُ في الروض ربيعًا نضِرًا
نحن من فيضك نسمو للقُلَلْ
في جهاد الكون نمضي كالشُعل[١٣٧]

...[١٣٨]

يا أخا الوردة كن صنوَ الحجرْ وكن السورَ لبستان الزهر[١٣٩]
آدميًّا صوِّرن من تُربكا ثم شيِّد عالَما بِدعًا لكا
أنت إن كنت ترابًا هَيِّنا فليصُغ غيرُك منك اللبِنا
أيها الصارخ من جَور الدَّهَر يا زُجاجًا يشتكي جورَ الحجرْ
فيم هذا النوح؟ ماذا المأتمُ؟ وإلام الصدر حزنًا تَلدِم؟
مضمرٌ في السعي مضمونُ الحياةْ لذة التخليق قانون الحياةْ
قم فشيِّد عالمًا دون مثيل وخُض النار وأقدم كالخليل
إنما السيرُ على حُكم الزمانْ هو رَمْيُ التُّرس في وقت الطِعانْ
إنما الحر الشجاع الفطِنُ مَن قفا الآثارَ منه الزمنُ
وإذا الدنيا عتت عن أمره حارب الدهر، ولم يعبأ به
يهدم الموجودَ فيما آثرَا يمنح الذرَّاتِ شكلًا آخرًا[١٤٠]
يصرفُ الأيامَ عن كرَّاتها يمنع الأفلاك من دوراتها[١٤١]
خالقًا من قوةٍ في قلبه ذلك العصرَ الذي يرضى به
فإذا أعوز عيشُ الرجُلِ فالحياةُ الموتُ موتَ البطل
حبذا عشقٌ بغَى الأمرَ الجليلْ وجنى في النار وردًا كالخليل
تتجلَّى في مِراس المُعضلِ قوة كامنةٌ في البطَل
عُدَّة الأنذال حقدٌ لا سواه استمع يا صاح، ذا شرع الحياةْ
الحياةُ الحق بَأسٌ يظهرُ حُبُّ الاِستيلاء فيه مضمرُ

ربَّ عـفـوٍ كـان مـن آفـاتـهـا يـكسـر الـموزون من أبـيـاتـهـا
يـحسَب الـعـجزَ قُـنوعًا خانـعُ لـصـروف الـدهـر ذلًّا طـائـعُ
قـاطـعٌ سُـبـلَ الـحـيـاة الـخَـوَرُ قـلـبـه خَـوفًـا وكـذْبًـا يُـضـمـرُ
قـلـبـه مـن كـل خـيـر فـارغُ لـيـثـه فـي كـل خـبـث والـغ
فـي كـمـيـن راصـدٌ هـذا الـلـئـيـمْ فاحذرن يا صاحبَ العقل السليمْ
احـذرن يـا صـاح مـن تـزيـيـنـه إنـه الـحـربـاء فـي تـلـويـنـه[١٤٢]
إنـه يَـخـفـى عـلـى أهـل الـنـظـر لَـبَـسَ الـحـق عـلـيـهـم واسـتـتـر
فـي ثـيـاب الـلـيـن حـيـنًـا يـظـهـرُ وهـو حـيـنًـا فـي اتـضـاع يُـسـتَـر
وهـو طَـورًا فـي ثـيـاب الـمُـجـبَـرِ وهـو طـورًا فـي حـجـاب الـقَـدَر
وهـو حـيـنًـا فـي لـبـاس الـتـرف يـلـبـس الـصـحـة ثـوبَ الـدَنَـف
مـا سـوى الـقـوةِ لـلـصـدق دَعَـمْ اعرفن نفسك، هذا جام جم[١٤٣]
هـي مـن حـقـل الـحـيـاة الـحـاصـل فُـسِّـر الـحـقُّ بـهـا والـبـاطـل
مـدَّعـاه فـي غـنـى عـن حـجـة إن تـحـدَّى الـمـدَّعِـي بـالـقـوة
تـجـعـل الـبـاطـل حـقًّـا مـاثـلًا وَهَـنُ الـحـقِّ يُـحـقُّ الـبـاطـلا
سـطـوة الـقـوَّة تُـحـلـي مـا أمـرّ إن تقل للخير شرٌّ فهو شرّ[١٤٤]
أيـهـا الـغـافـل عـمَّـا حُـمِّـلا أنت في الكونين أعلى منزلا
افـتـحـن عـيـنًـا وأُذْنًـا وفـمـا
تُـبـصـر الـحـق طـريـقًـا مُـعـلَـمـا

قصة فتى من مرو جاء إلى السيد المعظم علي الهجويري شاكيا بغي أعدائه[١٤٥]

مُـجْـتبَى هُـجـويرَ مـقـصودُ الأُمَـمْ من رأى الجِشتيُّ مثواه الحرم[١٤٦]
قـطـع الأطـواد واجـتـاز الـسـدود بـاذرًا فـي أرضـنـا بـذر الـسـجـود
زمـن الـفـاروق مـنـهُ يُـشـرقُ وبـه لـلـحـق يـعـلـو مَـنـطـق
حـارسُ الـعـزة مـن أمِّ الـكـتـاب مَعقِلُ الباطل منه في تَباب
حـيِّـت الـبـنـجـابُ مـن أنـفـاسـه صُـبْـحُـنـا نـوَّر مـن نـبـراسـه

ذا رسولُ العشقِ، وهو العاشق فيـهِ سرُّ العـشـق بـادٍ بـارقُ

* * *

قـصـة أسـردهـا فـي أسـطـرِ طـاويًـا فـي الكِمِّ روضَ الزهَـر
قـد أتَـى لاهـورَ من مروَ فـتـى قـدُّه كـالـسـرو عـالٍ قـد عـتـا
جاء عند السيد العالي الجنابْ كاشفًا من نوره عنه الضبابْ
قـال: إنــي فــي عُـداةٍ لـؤُمـوا كـزجـاج بـصـخـور يُـصـدَم
علمني أيها الشيخ الكبيرْ كيف عيشي بين أعداء كثير
فأجاب الشيخ، مَن فيه الجمال قد تجلَّى في إطار من جلال
أيها الغافلُ عن سرِّ الحياةْ لا يَميزُ الخيرَ من شر الحياةْ
حرِّرن نفسَك من يأس وغمّ أنت بـأس نـائم، قـم لا تـنـمْ
إن رأى النفسَ زجاجًا حجرُ فهو في الحق، زجاجٌ يُكسر
وإذا خــارت قــواه الــســائـر قطع السُّبْل عليه الفاجرُ
كم ترى نفسك طينًا قد حُقِر شعلةَ الطور من الطين أثِرْ
فيم شكواك الرفيق النافعا فيم شكواك العدو الخادعا
كم عدوٍّ لك، في الحق صديقْ أنت بالأعداء ذو غُصنٍ وريق
قـوةَ الأعـداء فـضـلًا يَـعـلـمُ مَن مَقامَ «الذات» حقًّا يَفهم
يوقظ الخصمُ قواك الهاجدةْ مثلَ ما تحيي المواتَ الراعدةْ[١٤٧]
قوة العزم تذيب الحجرا لا يبالي السيلُ صخرًا إن جرى
تشحذُ العزمَ عِقابُ السُّبُل امتحان العزم بُعدُ المنزل[١٤٨]
ما حياةٌ دون عزم مُحْكَمٍ؟ ما غَناءُ العيش مثلَ النعَم؟
زلزل العالمَ وافعل ما ترى إن حَبَتْك الذات عزمًا مسعرًا
اهجرنَّ الذات إن تبغ الفناءْ واعمُرنَّ الذات إن شئت البقاءْ
ما الردى؟ أن يدركَ الذاتَ الوَسَنْ أتــراه بـعـد روح وبــدن؟[١٤٩]
يا أخا يوسف في الذات أقِمْ ومن السجن إلى المُلك استقِم[١٥٠]
أحكمنَّ الذات وانهض عاملا نـاصـرًا لـلـحـق، سـرًّا حـامـلا
هاكَ سرًّا في حديثٍ مؤنسِ أفـتـح الـكِمَّ بـحَـرِّ الـنـفَـس[١٥١]

حـبـذا سـرٌّ حـبـيـب يُـضـمـرُ
في حديثٍ عن سواه يؤثر[١٥٢]

قصة الطائر الذي أجهده العطش

طـائـرٌ مـن ظـمـأ قـد جـهِـدا　　كـدخـان نـفَـسـا قـد صـعَـدا
قـد رأى ألـمـاسـة مـثـلَ الـنـدى　　صـاغـهـا مـاءً لـعـيـنـيـه الـصـدى
خـدعـتـه شـذرةٌ مـثـلُ الـشـرر　　فرأى الجاهل ماءً في الصخَر
لـم يـجـد ريًّـا بـضـرب الـمِـنـقَـر　　لـم يُـصـب مـاء بـنـقـر الـجـوهـر
قـالـت الـشـذرة: جُـنِّـبتَ الـهُـدى　　تضرب المنقار في جسمي سُدى
لـسـتُ مـاء، لا تـرانـي سـاقـيـه　　ما أنا من أجل غيري باقيهْ
جاهلٌ يقصد هضمي ما اهتدى　　لـحـيـاة نـورُهـا مـنـهـا بـدا
كـل مـنـقـارٍ بـمـائـي يـنـكـسـرْ　　وتـرى الإنـسـان مـنـه يـنـبـهـر
مـا رأَى الـطـائـرُ فـيـهـا أربـا　　فـتـولـى عـن سـنـاهـا لـغَـبـا
حـسـرة فـي صـدره تـتَّـقـد　　زفـراتٍ لـحـنُـه يـصَّـعَّـد

* * *

وأَضـاءت مـثـلَ دمـع الـبـلـبـلِ　　قـطـرةٌ فـي غُـصـن ورد خَـضِـل
لـضـيـاء الـشـمـس فـيـهـا مِـنَّـة　　ولخوف الشمس فيها رعدة[١٥٣]
كوكبٌ يرعَد من نسل السماءْ　　شاقه الجلوة في هذا الفضاء[١٥٤]
غرَّه الأكمام والزهر الخصيبْ　　لم يزوَّد من حياة بنصيب[١٥٥]
قـطـرةٌ مـن دمـع صـب تـبـهَـر　　زانـت الـهـدبَ وكـادت تـقـطـر
فـمـضـى الـطـائـر فـيـهـا راغـبًـا　　بـلَّ بـالـقـطـرة حَـلـقًـا لاهـبًـا
أيـهـا الـبـاغـي عـدوًّا تـقـهـرُ!　　قـطـرة أنـت، تُـرى، أم جـوهـر؟
حـيـنـمـا الـطـائـر أضـنـاه صـداه　　حـيَّ نـفـسًـا بـحـيـاة مـن سـواه
كـانـت الـشـذرة عـضـبًـا يُـرهَـب　　لـم تـكـن قـطـرة طـلٍّ يُـشـربُ
قـوةَ الـذات احـفـظـنـهـا أبـدًا　　وكـن الألـمـاس لا قـطـر الـنـدى
أنـضـج الـقـطـرة كـالـطـود تُـرى　　حـامـلًـا غـيـمًـا مُـفـيـضًـا أنـهـرا
أثـبـت الـذات وفـيـهـا حَـقِّـق　　فِضةً كن بالتئام الزئبق[١٥٦]

ومـن الـذات أبِـنْ أسـرارهـا
حـرِّكـن عـن لـحـنـهـا أوتـارهـا

قصة الألماس والفحم

قصةٌ أُخرى بها أُدلي إليك   يفتح الحقُّ بها بابًا عليك:
قال للألماس فحمُ المعدِن: يا حليفَ النور طول الزمن!
نحن صنوان نَمانا والدُ   أصلُنا في الكون أصلٌ واحدُ
وعلى التيجان أنت الزينةُ   وأنا في التُّرب حظي الذلَّة
لك حسنٌ في المرايا يسطعُ   وأنا من كفِّ ترب أضيَع
من ظلامي قد أضاء المجمرُ   ورمادًا آض فيَّ الجوهر
مَوطئ الأقدام بين البشَرِ   قد رموا في مهجتي بالشرَر
إن حالي ببكاء لَحَرى   هل ترى أصلي وفصلي هل ترى؟
إنني موج دُخان يُعقَد   كلُّ ما فيَّ شرار يَصعَدُ
ومن الأنجم فيكي الرونقُ   كل جنب فيك نور يشرق
تارة نور بعيني قيصرا   تارة فصٌّ يزين الخنجرا

* * *

قال: فاسمع يا رفيقي وافهما   ينضج التربُ فيغدو خاتَما
شنَّ فيما حوله حربًا ومرّ   وغدا بالحرب صلبًا كالحجر
هيكلي من نضجه قد نوَّرا   وبصدري كم شعاع أسفرا
أنت من ضَعفِ كِيان تنفَق   وبلين في قَوام تُحرق
اهجُرنْ خوفًا وغمًّا لا تهُن   وانضَجَنْ كالصخر والألماسَ كُن
من أجاد السعي والأخذ معًا   فهو في الدارين بدر طلعا
وبحِجْر الكعبة انظر حجرا   كان من قبلُ ترابًا حُقِرًا
جاوزَ الطورَ علاءَ لا جرم   ورجت تقبيله كلُّ الأمَمْ

قوةُ الأحياء عزٌّ ونجاهْ
والونَى والذلُّ من ضعف الحياهْ

قصة الشيخ والبرهمي ومحاورة نهر الجنج وجبل همالايا في معنى دوام حياة الأمة بالتمسك بسنتها

برهميٌّ في بناريسَ علَم   غائض في فكر كون وعدَم[١٥٧]
برجال الله يحفَى فِعلُه   ومن الحكمة وافٍ كِفلُه
عقله فوق الثريَّا قد علا   ذهنه ماض يحُلَّ المشكلا
فكره العنقاء إمَّا حلَّقا   شعلةٌ منها السماك احترقا
كأسه دهرًا خلت من خمرةِ   قد حماهُ الراحَ ساقي الحكمة
في رياض العلم ألْمَى شبَكا   طائرَ المعنى به ما أدركا
فكرَه أدْمَى ولكن لم تزل   عُقَد الأكوان فيه دون حلّ
أعربت عن يأسه آهاتُه   وحكت حَيرتَه نظْراته
سار يومًا نحو شيخ كامل   رَبِّ صدر بفؤادٍ آهِلِ
لقي الشيخ بنفس راجيه   تحسن الصمت، وأذنٍ واعيه
فأهاب الشيخ: يا خِدنَ السما   اهبطنَّ الأرضَ وارعَ الذمَما
ضقتَ في الأرض مجالا فعلا   فكرُك المقدام في أوج العُلَا
طاويَ الأفلاك! في الأرض قُمِ   لا تطِر تطلب سرَّ الأنجُم
لا أقول اهجر غدًا أصنامكا   كافرٌ أنت فخذ زُنَّاركا
يا أمينًا لتراث الأولينْ!   لا تدعْ نهج الجدود الأقدمين
باجتماع الشمل تحيا الأمة   وكذاك الكفر فيه وَحدة
لم يكمَّل فيك حتى كفرُكا   ليس أهلًا لفؤاد صدرُكا
إنَّ إبراهيم فينا هُجِرا   وبَعُدتُمْ أنتمُ عن آزَرا[١٥٨]
قيسُنا ما هام خلف المحمَل   في جنون العشق لمَّا يكمُلِ
إن شمع الذات فينا لانطفاءْ   كيف يُجدينا طوافٌ في السماء

* * *

جاش نهر الجنح يومًا جائلا   في سفوح من هِمالا قائلا
حاملًا من بَرَدٍ أوقارَه!   عاقدًا من أنهُرٍ زُنَّاره![١٥٩]
صاغك الحق نجيًّا للسماء   وحمى رجلَك سيرًا في العراء
قُيِّدت رجلك عن سير فما   هيبةٌ فيك ورأسٌ قد سما؟

إنـمـا الـعـيـش مَـسـيـرٌ وُصِـلا   وحـيـاةُ الـمـوج فـي أن يـجـفِـلا
غـضِـب الـطـودُ لـقـول الـنـهَـر   فـرمـت أنـفـاسُـه بـالـشـرر
قـال: يـا مرآة وجـهـي! ويـلـكـا   كم حوى صدري بخارًا مثلَكا
إن هـذا السـيـر فـيـه الـحَـين لكْ   من يَزُل عن نفسه يومًا هلكْ
بـمَـقـام لـكَ هـلّا تـأبَـه!   أفـخـارٌ بـالـردى يـا أَبـلـهُ!
يـا ولـيـد الـفَـلـك الـمـرتـفـعِ!   صرتَ دون الساحل المتَّضِعِ
قد وهبتَ النفس بحرًا غاصبًا   قد أبحت الروح لصًّا سالبا
كـن كـورد فـي رُبـاه عـاكـفِ   لا تَرُم للريح كفَّ القاطف[١٦٠]
إنما الـعـيشُ نماءٌ في المكانْ   وبروض الذات قطفُ الأُقحُوانْ
في دهور لم تُزحزح أرجُلي   أتُـرانـي زائـلا عـن مـنـزلـي؟
وإلـى الأفـلاك قـدِّي يـصـعـد   فـعـلـى سـفـحـي الـثـريـا تـرقـد
أنت تَفنى في خِضم خِضرِمِ   وقِـلالـي مَـسْـجـدٌ لـلأنـجُـم
وبـعـيـنـي لاح سـرُّ الـفـلـكِ   وبـسـمـعـي طـيَـرانُ الـمـلَـكِ
وبـنـار الـجِـدِّ طـولَ الـدهَـر   قد حوى صدري صنوف الجوهر
صخَرٌ قلبي وناري في الصخَر   ليس للماء إلى ناري ممرّ[١٦١]
قطرةً إن كنت فاحفظ نفسكا   جاهد الأمواج واجنُب يأسكا
وابـتـغ الـنـور وكن درًّا يُضِـيءْ   ثم كن قُرطًا على وجه وضِيء
أو فـزد واعلُ سـحـابًـا مـمطرًا   يُشعل البرق ويَهمي أبحرا[١٦٢]
يـبـسـط الـبـحـرُ لـجـدواك يـدا   شاكيًا من فاقة يرجو الندى

فـهـو فـي فيضك دون الـموجة
وهْـو فـي جـدواك بـادي الـذِّلَّـة

في بيان أن حياة المسلم لإعلاء كلمة الله وإن كان الباعث على الجهاد «جوع الأرض» فهو حرام في شريعة الإسلام

صـبـغـةَ الـلـه أنِـرْ فـي قـلـبـكـا   والـهوى والصيتَ دع في حبِّكا
إنـمـا الـمـسـلـم بـالـحـبِّ قـهـر   مُـسـلـمٌ لا حـبَّ فـيـه قـد كـفـر

غَضَّ بالحق، وبالحق نظَر ... وله في الحق نومٌ وسَهَر
في رضاه لرضا الحق فناء ... كيف يرضى الناس هذا الادعاء؟[١٦٣]
في رُبى التوحيد أرسَى العَمدَا ... وعلى الناس جميعًا شهدا
وعليه يشهد الداعي الأمين ... شاهدٌ أصدقُ كلِّ الشاهدين
فدع القال إلى الحال الجلي ... وأضِئْ بالحق ليلَ العملِ
وكن الدرويش في زيِّ الأميرْ ... ذاكرًا لله يقظانَ الضمير
واقصِدَنَّ الحقَّ في كل الفِعالْ ... يسطَعَنْ فيك من الحق جلال
خيرٌ الحربُ إذا رمتَ الإله ... شرٌّ السِّلمُ إذا رُمتَ سواه
نحن إن لم يُعلِ حقًّا سيفُنا ... اكتسى في الحرب عارًا صفُّنا

* * *

شيخنا الشيخ «مِيَا نميرُ» الولي ... مِن سَناه كلُّ سِرٍّ ينجلي[١٦٤]
كان ثَبْتًا في طريق المصطفى ... مِزْهرَ العشق بحقٍّ عَزَفا
قبرُه الإيمان في أوطاننا ... مشعلُ النور على بلداننا
سجدَ النجم على أعتابه ... كان مَلْكُ الهند من طُلَّابه
غرس المَلْكُ هواه في الفؤادْ ... طالبًا في حرصِه فتحَ البلادْ
بالهوَى أضرَم نارًا قلبَه ... مُقرئًا «هَلْ مِنْ مَزِيدٍ» عَضبَه[١٦٥]
دوَّخت أجنادُه كلَّ وطنْ ... وتوالى الفتحُ في أرض الدكَن
دَيدن المسلم للحق التجاء ... يُحكم التدبيرَ منه بالدعاء
قصدَ الشيخَ العليَّ القَدَرِ ... راجيًا منه دعاءَ الظفر
صمتَ الشيخ لقول المالك ... وصغَى كلُّ مريد سالك
قطع الصمتَ مريد أقدما ... أمسكت إحدى يديه درهما
قال: مولايَ! اقبل النذرَ الحقيرْ ... أنت للمسكين بالحق نصيرْ
عَرَقي من كل عضو قد همى ... قبل أن تمسك كفي الدرهما
قال: سلطاني به أولى يدا ... سائلٌ في حلة المُلك بدا[١٦٦]
مَلْكنا أفقر من كل البشرْ ... وعلى الشمس تولَّى والقمر
جوعُه بالنار يُصلِي العالمين ... عينه فوق سماط الآخَرين
سيفه بالقحط والموت رمى ... نفسَه يَبني ويُردِي عالَما

ضـجـت الأقـوام مـن فـقـرٍ لـديْـه ‏ شـقـى الـمـسـكـينُ من جوع يديه
حـكـمـه فـي الـنـاس شَـرٌّ وأشَـر ‏ قـطَـعَ الـطُـرْقَ عـلـى رَكْـب الـبشَـرْ
بـخـداع الـنـفـس والـجـهـل دعـا ‏ نـهـبَـيه فـتـحًـا، وبـئـس الـمـدَّعَـى
عـسـكـرُ الـمـلـك ومـا قـد أسـروا ‏ بـسـيـوف الـجـوع مـنـه شَـذَرُ
غـصَّـةُ الـسـائـل جـوعُ الـسـائـل ‏ وخَـراب الـمُـلـك جـوعُ الـدائـل[١٦٧]
مـن لـغـيـر الـلـه سلَّ الـمُـغْـمَـدا
سـيـفَـه فـي صـدره قـد أغـمَـدا

نصيحة مبرنجاة النقشبندي المعروف بباباي صحرائي «الأب الصحراوي» التي كتبها لمسلمي الهند

أنـت كـالـورد مـن الأرض بـدا ‏ من ضمير الذات نِلتَ المولدا
لا تَـعَـدَّ الـذات واخـلُـد أبـدا ‏ قطرةً كُنْ واشرب البحر صدى[١٦٨]
إنـمـا الـربـح بـهـذي الـثـروةِ ‏ والغِنى في حفظ هذي السِلعةِ
أنت موجود وفي خوف العدمْ ‏ يا أسير الوهم أخطأت الفَهَم
عـنديَ الـخُـبرْ بأوتـار الـحـيـاهْ ‏ سـأنَّـبـيـك بـأسـرار الـحـيـاهْ
غوصةٌ في النفس غوصَ الدرَّةِ ‏ وظـهـورٌ بـعـد هـذي الـخـلـوة
هـي جـمـعٌ مـن رمـادٍ شـرَرا ‏ واشـتـعـالٌ بَـعدُ يُـعشـي الـبصـرا
هـي حـول الـذات طوفٌ فاعلَمِ ‏ واجـعـلَـنْ نـفـسـك بـيـتَ الـحـرَم
حلِّقَنْ في اللوح عن جذب التراب ‏ من هُوِيٍّ لا تخف، مثل العقابْ
أنـت إن لـم تـك طـيـرًا ويـحـكـا ‏ فـعـن الـغـار فـأبـعـد عُـشـكـا[١٦٩]
أيـها الـجـاهـد فـي كـسـب الـعـلـومْ ‏ عن إمام الروم خذ نصحَ الحكيم
إنـمـا الـعـلـم لـدى الـجـسـم شـقـاء ‏ وهـو فـي الـقـلـب دواء وشـفـاء[١٧٠]
قصة الرومي تقضي بالعجب: ‏ كان فيضًا من علوم في حلَبْ
وعـلـى رجـلـيـه لـلـعـقـل قـيـود ‏ في ظلام العقل بالفُلك يَرُود
هـو مـوسـى دون طـور يُـشـرق ‏ ما درى ما العشق أو من يَعشقُ
وعـن الإشـراق والـشـك حـكـى ‏ ومـن الـحـكـمـة درًّا سـلـكـا[١٧١]

وعن المَشَّاء[١٧٢] حلَّ العقدا   كلٌّ خاف من سناه قد بدا
وحوالَيه صِوانُ الكتبِ   وعلى فيه بيانُ الكتب

* * *

أمَّ يومًا مكتبَ المُلَّا جلالْ   شيخُ تبريز بأمر من كمال[١٧٣]
قال: ماذا القال والقيلُ وما   من قياس ودليل أوْهَما
صرخ الرومي: مهلًا يا جهول   لا تهوِّن من مقالات العقول
اخرُجن من مكتبي يا أبلهُ   قالَنا والقيلَ أنَّى تفقه؟
قالُنا أرفعُ مما تعقل   سُرُج الإدراك منه تُشعلَ
نار شمس الدين زادت حُرَقا   فرمى من روحه ما أحرقا
فاستطار البرقُ من نظْرتِه   وتلظَّى التُّرْبُ من شُعلتِهِ
فإذا الأدراك من نار القلوب   محرَقٌ والكتْبُ منها في لهيبْ
جهل الروميُّ عشقًا أُضرِما   ما درت أوتاره ذا النغَما
قال: هذي النار ما قصتُها؟   أحرقت أسفارَنا وَقدتها
قال شمس الدين يا ذا المسلمُ!   ذوقَنا والحالَ أنَّى تعلَم؟
حالنا أرفع مما تُفكرُ   ولظانا الكيمياءُ الأحمر[١٧٤]

* * *

تجمع الحكمةَ زادًا بَردا   فسحاب الفكر يهمي بَردا[١٧٥]
من هشيم فيك أذكِ اللهبا   من تراب فيك أطلِع شُهُبا
من لهيب القلب عِلمُ الكامل   مقصدُ الإسلام ترك الآفل[١٧٦]
صدَّ إبراهيم عما يأفُلُ   فحوته كالجنان الشُّعَل[١٧٧]
قد نبذت الدين ظِهريًّا وما   تبتغي بالدين إلا الدرهما
أيها الساعي لكُحْل المُقَل   غافلا عمَّا به من كَحَل[١٧٨]
من فم التنِّين فابغ الكوثرا   واسألنْ ماء الحياة الخنجرا[١٧٩]
حجرَ الكعبة من بيت الوثَنْ   التمِس والمسكَ في الكلب اطلبن
طفئ العشق بعلم الحاضر   لا تؤمِّلْ كأسَ هذا الكافر
قد براني السعي في كل بعيدْ   وعرفت السرَّ في العلم الجديدْ
وحباني سرَّ هذي الجنَّة   قيِّمُ البستان بعد الخِبْرة

علمُ ذا العصر حجابٌ أكبرُ يعبد الوُثْنَ وفيها يَتْجر
من حدود الحسِّ لا ينطلقُ وله الظاهرُ سجنٌ مُغلَقُ
زلقت رجلاه في سُبْل الحياة وَضعت في حلقه السيفَ يداهْ
كشقيق فيه نار هامده شعلةٌ كالطل فيه بارده[١٨٠]
من لهيب العشق تخلو فِطرتهْ في طِلابِ الحق تبدو خيبته
عِلَلُ العقل لها العشقُ دواء مِبضعُ العشق لدى العقل شِفاءْ
سجد العالَمُ للعشق الجليل هو محمودٌ لأصنام العقول[١٨١]
جامُه من نشوة الراح خلا ليلُه عن وَجْد «يا ربِّ» سلا[١٨٢]

* * *

سَروُك الباسقُ قد أغفلتَه كلُّ سرو غيرَهُ أكبرتَه[١٨٣]
أنت كالناي خليٌّ من جواكْ بلُحون الناس أعليت صداكْ
تبتغي نفسَك في سوق سواكْ وسماطَ الناس تجدوه يداكْ
من سراج الناس نادينا استعر أحرق المسجدَ من دَير شررْ
ظبيُنا خاف سواد الكعبة فرماه صائد في الثُّغْرة[١٨٤]
ورق الوردة كالعَرف انتشَرْ جافِلًا من نفسه! عُدْ للمقَرّ[١٨٥]
يا أمينَ السرِّ من أمِّ الكتابْ هل إلى وحدة ماضينا إياب؟
نحن حُرَّاس حصونِ الأمةِ كُفرنا تَركُ شعار الملَّةِ
أكؤسُ الساقي أراها كِسَرا حَفْل نُدمان الحجاز انتشرا
تعمُر الكعبةُ من أصنامِنا يضحكُ الكفرُ على إسلامنا[١٨٦]
شيخنا باع الدُّمَى مِلَّتَهُ جاعلا زُنَّاره سُبْحتَهُ[١٨٧]
شيَّخ الشيخَ بياضُ الشعَر وهو للأطفال مثلُ السُّخَر[١٨٨]
قلبُه بيتٌ لأصنامِ هواهْ فهو صِفْر مُقفر من «لا إله»[١٨٩]
يَلبَس الخرقةَ من يُرخي الشعَر آهِ! للتاجر بالدين اتَّجَر
بمريديه أدام السفَرا في هدَى أمَّته ما فكَّرا
أعْيُنٌ عُميٌ حكاها النرجِسُ وصُدورٌ من قلوب تُفلِس
عبَّد الأشياخ فينا المنصِبُ حُرمةُ الأمة منهم تذهب
واعظٌ عيناه شطرَ الوَثنِ وفتاوَى تُشتَرى بالثمنِ

وجـهَـه لـلـحـان ولَّـى شـيـخُـنـا
يـا رفـاقـي بـعـدُ مـا تـدبـيـرنـا[190]

الوقت سيف[191]

نـضَّـر الـلـهُ تـرابَ الـشـافـعـيّ
سـحـر الألـبـاب هـذا الألـمـعـيْ
فـكـره قـد صـاد نـجـمًـا لامـعًـا
حين سمَّى الوقت سيفا قاطعا
فـاتَ خـوفًـا ورجـاءً صـاحـبُـه
كـفُّـه كـفٌّ كـلـيـم، ضـاربُـه
تُـغـدق الـصـخـرة مـن ضـربـتـه
ويَـغـيـض الـبـحـر من صَـوْلـتـه
كان هذا السيفُ في كفِّ الكليمْ
فشأى التدبيرَ بالعزم الصميم
شق صدر البحر لمعَ القَبس
صـيَّـر الـقـلـزُم مـثـل الـيَـبَـس
وبـهـذا الـسـيـف يـومَ الـخـطَـر
زلـزلـتْ خـيـبَـر كفُّ الـحـيـدر[192]

* * *

مـمـكـن إبـصـارُ دَورِ الـفَـلـك
وتـــوالـــي نُـــوره والـــحَـــلـــكِ
يا أُسيرَ اليوم والأمس انظرا[193]
انظرنْ في القلب كَونًا سُتِرا
أنت في النفس بذرت الباطلا
وحسبت الوقت خطًّا طائلا
وذرعت الوقت طولا، للشقاء
بـذراع مـن صَـبـاح ومـسـاءْ
وجـعـلـت الـخـيـط زُنَّـارًا لـكـا
صِـرتَ لـلأصـنـام نـدًّا ويـلـكـا
صِرتَ يا إكسيرُ تُربًا سافلا
يا وليد الحق صرت الباطلا
اقـطـع الـزنـار حـرًّا لا تَـهُـنْ
شمعةً في محفِل الأحرار كن
إيه يا غافلُ عن أصل الزمانْ
كيف تدري ما خلودُ الحيوان[194]
يا أسير الصبح والمُسى اعقِلَنْ
«لي مع الله» بها الوقتَ اعرفَنْ[195]
كل ما يظهر، من تسياره
والحياة السرُّ من أسراره[196]
مـا مـن الـشـمـس أراه يـوجَـد
إنـهـا تـفـنـى وهـذا يـخـلُـد
وبه الشمس أضاءت والقمر
وبه في العيش ما ساء وسرّ
قد بسطت الوقت بسطًا كالمكان
وفَرَقْتَ اليومَ من أمس الزمانْ
يا شذًى قد فرَّ من بستانه
وحبيسَ السجن من بنيانه[197]

وقتنا بين الحنايا سافرُ   ليس فيه أوَّل أو آخِر
الحياة الدهر يا من عرفا   «لا تسبوا الدهر» قول المصطفى

* * *

نكتةً كالدر خذها رائقة   بين حرٍّ ورقيقٍ فارقه
حيرةُ العبد مسيرُ الزمنِ   حيرةُ الأزمان قلبُ المؤمن
ينسج العبدُ عليه كفَنا   من صباحٍ ومساءٍ مُذعنا
وترى الحرَّ من الطين نجا   نفسه حول الليالي نسجا
قفصُ العبد صباحٌ ومساءْ   يُحرَم التحليقَ في جوِّ السماء
وبصدر الحرِّ ثار النفَسُ   طائر الأيام فيه يُحبَس
فطرة العبد حُصولُ الحاصلِ   ليس في تفكيره من طائلِ
في مقام من همودٍ راكدُ   نوحُه ليلًا وصبحًا واحدُ
ومن الحرِّ جديد الخلقة   كلَّ حين، وحديثُ النَّغْمة
قيَّد العبدَ صباح ومساء   وثوى في فمه لفظ القضاء[١٩٨]
وأرى الحرَّ مُشِيرًا للقَدَرْ   صوَّرت كفَّاه أحداث الدهَر[١٩٩]
عنده الماضي التقَى والقابل   عاجل بين يديه الآجل[٢٠٠]

* * *

ضاقَ عن معنايَ حرفٌ وصدَى   عجز الإدراك في هذا المدى
قلت، واللفظ من المعنى خجِلْ   وشكا المعنى من اللفظ المَحِلْ
مات معنى في حروف يُحبَس   نارَه يُخمِدُ منك النفَسُ
سرُّ غيب وحضور في القلوبْ   رمز وقت ومرور في القلوبْ[٢٠١]
إنَّ للوقتِ للحنًا صامتًا   وله في القلب سرًّا خافتًا[٢٠٢]
أين أيام بها سيفُ الدهَر   صرَّفْته في أيادينا القُدَر![٢٠٣]
قد غرسنا الدين في أرض القلوب   وجلونا الحق من ستر الغيوبْ
ومن الدنيا حلَلنا العُقَدا   واستنار التُّربُ منَّا سُجَّدا
من دنان الحق صرَّفنا الرحيق   وهدمنا حانة العصر العتيقْ
يا مدير الراح في أضوائها   ومُذيبَ الكأس من لألائها[٢٠٤]
من غرور واختيال تَسْكر   ومن الفقر لدينا تسخر!

كأسنا كانت سراجَ المحفِل ... صدرُنا كان لِقلبٍ مُشعَلِ
إن هذا العصرمن آثارنا ... من عَجاج ثار في تسيارنا
روضةُ الحق ارتوت من دمنا ... عزَّ أهلُ الحقِّ في الدنيا بنا
كبَّر العالَم من تكبيرنا ... كعَباتٍ شاد من تعميرنا
اقرأ» الحقُّ لنا قد عَلَّما ... بيدينا رزقَه قد قسَّما[205]
لا تهوِّن قدر حرٍّ أعدَما ... أن تَرى التاج مضى والخاتما
إن نكن عندك أصحابَ الخسارْ ... قُدماءَ الفكر أحلافَ الصَّغارْ
فلدينا عزَّة من «لا إله» ... نحن للكونين حُرَّاسٌ أُبَاهْ
قد تركنا غمَّ أمسٍ وغد ... ووفينا لحبيب أوحدِ
نحن ورَّاثُ هداةٍ للبشرْ ... نحن عند الحق سرٌّ مدَّخر
لا تزال الشمس تُبدي نورنا ... غيمنا فيه بروقٌ وسَنا

ذاتنا المرآة للحق، اعلَمِ
آيةُ الحق وجود المسلم

دعاء

أنت في الكونِ كروح مُستسِرّ ... روحُنا أنت، ومنَّا تَستتر[206]
منك فيه نغمة عُودُ الحياةْ ... في هواك، الموتُ محسودُ الحياةْ
عُد فسكِّنْ ذي القلوبَ البائسةْ ... عُد فعمِّر ذي الصدور اليائسةْ
عدْ فكلِّفنا الفعَال الماجدا ... أَلْهِبَنَّ العشق فينا الخامدا
إننا نشكو تصاريف القضاءْ ... أنت تُغلي السعرَ والأيدي خَلاء[207]
عن فقير لا تحجِّب ذا الجمال ... عشقَ سَلْمانَ امنحنَّا وبلالْ
عَينَ سُهد لفؤادٍ قَلِق ... امنحنَّا واضطرابَ الزِئبَق
آيةً أظهِر من الآي المبين ... لنَرى أعناق قومٍ خاضعين[208]
أَظهِر البركان من أعوادنا ... وامحُ غيرَ الله في نيراننا
كفُّنا ألقت بخيط الوحدة ... كم ترى في أمرنا من عُقدة؟[209]
قد مضينا كنجوم حائرةْ ... إخوةٌ لكن وجوه نافرةْ

انظمَنْ في السلك هذا الورقا جَددن سنَّة حُبٍّ أخلقا[٢١٠]
ابعثنَّا مثل ما كنَّا لكا ائتمن فيما ترى أحبابَكا
منزلَ التسليم أبلغ رَكْبَنا عزمَ إبراهيم يسِّره لنا
علِّمنَّ العشق من أفعال «لا» رمزَ إلا الله علم غافلا[٢١١]

* * *

أنا كالشمع لغيري أُحْرَق وبدمعي كلُّ حفلٍ يَشرق
رَبِّ! هذا الدمع نورٌ في القلوبْ ذو هَياج واضطراب ونحيبْ
أبذرُ الدمعَ فتنمو شُعَلُ نار شِقْر الروض منها تَنصِل[٢١٢]
أمسِ في قلبي، وعيناي الغد أنا في الجمع فريدٌ مُوحَد[٢١٣]
ظن كلٌّ أنني نعم السميرْ ليس يدري أيُّ سرٍّ في الضمير[٢١٤]
أين يا ربَّاه في الدنيا النديم نخلُ سيناء أنا، أين الكليم؟
ظالمٌ نفسي فكم عنَّيتُها شعلًا في صدرها أذكيتُها
شُعَلًا للحسِّ تذرو ما به وتشبُّ النار في أثوابه[٢١٥]
وبها العقل جنونًا عُلِّما وبها أُحرِق ما قد عُلِما[٢١٦]
قد عَلتْ من حرِّها شمسُ السماءْ حولها للبرق طوْف في الفضاءْ
كل عِرْق فيَّ نارًا يقطرُ شُعَلًا يَنبُتُ فيَّ الشَعَرُ
بلبلي يلقط هذا الشرَرا فتراه نَغَمًا مستعرا
صدر عصري ما بقلب يؤهل نَوحُ قيسٍ حين يخلو المحمل[٢١٧]
يخفق الشمعُ وحيدًا ويله في فَراش لا يرى أهلًا له[٢١٨]
كم أرجِّي مُسعِدًا لي في البشر ونجيًّا كم أرجِّى في الدهَرْ

* * *

يا من الأنجمُ منه تستنير! أَرجِعنْ نارك من روحي الكسير
اسلُبَنْ نفسيَ ما أودعتَها عَطِّلنْ من نورها مرآتَها
أو فهبْ لي وجهَ خِلٍّ لَبِق هوَ مرآةٌ لعشق مُحرق

* * *

يخفق الموج بموج في العُبَاب لا يسير الموج إلَّا في صِحاب

ومع الكوكب يَسري الكوكبُ　　وعلى الأقمار يحنو الغَيْهَبُ
ومع الليل نهار أبدًا　　ومَسيرُ اليومِ يقتاد غدا
نهرًا، أُبصِرُ، يَفنَى في نَهَر　　ونسيمَ الروض في عَرْف الزهَرْ
رُبَّ حانٍ آهلٍ من شَربه　　راقصَ المجنونُ مجنونًا به
أنت يا واحدُ لا شبهَ لكا　　عالَمًا أنشأته من أجلكا
وأنا مثلُ شقيقاتِ الفَلا　　مفردٌ، في بُهرة الجمع خَلا[٢١٩]
هَب نجيًّا يا وَليَّ النعمة　　مَحرَمًا يُدرك ما في فطرتي
هَب نجيًّا لَقِنًا ذا جِنَّة　　ليس بالدنيا له من صلة[٢٢٠]
رُوحَه أودِع من أنَّاتِيهْ　　وأرى في قلبه مرآتَيه
وأسوِّيه بطيني مُحكَمًا
وأرَى آزرَه والصنما[٢٢١]

هوامش

(١) حيدر علي بن أبي طالب، ورستم من أبطال الفرس.
(٢)

نيست درخشك وتربيشه من كوتاهي　　چوب هرنخل كه منبر نشوه داركنم

(٣) جام جم: أي كأس جمشيد، وفي أساطير الفرس أن الملك جمشيد كان عنده كأس يرى فيها الأقاليم السبعة، وفي هذا البيت وما بعده يقول الشاعر: إنه يرى الغائب، ويدرك ما لم يخلق.
(٤) جني الورد الذي لم يظهر من شجره، علم أنه سيظهر دون ريب، وأنه سيجنيه، فكأنه قد جناه.
(٥) لم يغش ضوئي النجوم، ولم يضطرب شعاعي في الأعين اضطراب الزئبق.
(٦) حبذا من صلى بناري وزمزم حولها كالمجوس.
(٧) هو صوت شاعر الغد، ليس صوتًا للزمن الحاضر.
(٨) أفكاري لا يفهمها هذا العصر، إنها جميلة جمال يوسف، ولكن ليس في هذه السوق من يشتريها.

(٩) يائس ممن عرف من الناس، وهو يرجو أن يأتي إليه كليم يفقه عنه، كما ذهب موسى الكليم إلى الطور.

(١٠) قال: إنه شاعر المستقبل لا الحاضر، فقال: كثير من الشعراء لم يعرف قدرهم إلا بعد الموت.

(١١) هو لحن لا يطيقه وتر، وهو لا يبالي أن يقطع أوتاره في إظهار هذا اللحن، لا يبالي أن يموت في الإعراب عن هذا الوجد.

(١٢) الزهرة التي لا تنمو حتى تصير روضة ليست أهلًا لمطره.

(١٣) جمع قنة، وهي قمة الجبل.

(١٤) العين الأولى عين الماء، والثانية عين الشيء أي نفسه، وكلمة الحياة رديف.

(١٥) يعني جلال الدين محمد بن الحسين البلخي البكري المعروف باسم جلال الدين الرومي، ناظم المثنوي، والشاعر يعترف بإمامته، ويكرر ذكره.

(١٦) الفراش والشمع مثل للمحب والحبيب؛ فالفراش يقدم على النار فيحرق نفسه غير مبال، ولكن الشمع هو الذي غزا فراشه.

(١٧) سرت مني دعوة يا رب في الليل.

(١٨) السقطان الجناحان.

(١٩) يقال عن كتاب المثنوي لجلال الدين الرومي: إنه القرآن في اللسان الفهلوي أي الفارسي.

(٢٠) كم الزهر منقبض يخفي لونه وريحه، فإذا انفتح نشر ريحه واستبان شكله، فغمت الرائحة ملأت الأنف.

(٢١) أذكى النار أشعلها.

(٢٢) اتخذ ثوب الزجاج: أظهر ما في باطنك كما تظهر الزجاجة ما فيها.

(٢٣) الفهر الحجر الصغير، يعني اكسر مرآة الفكر ولا تعول على ما تبديه، وأبد ما للعشق في قلبك.

(٢٤) الناي مأخوذ من الغاب، وصوته عند شعراء الصوفية حنين إلى غابة، وقد بدأ جلال الدين كتابه المثنوي بقصة الناي والغاب.

(٢٥) قم فعل أمر، يعني: أحي الناس بقولك قم، والكلمة بلفظها العربي في الأصل.

(٢٦) إشارة إلى ما يقال في وصف إرم ذات العماد.

(٢٧) أبقيت كلمة خودي في الشطرين كما جاءت في الأصل، ومعناها الذاتية، وهي أساس فلسفة إقبال.

(٢٨) جلا لي العشق كيف هذا الكون وكمه حين سلط عليَّ مبرده فسواني رجلًا.

(٢٩) رأى نبض النجوم وسير الدم في عروق القمر: أي أدرك أسرار الكائنات.

(٣٠) الملة البيضاء الأمة الإسلامية، أي هو غبار من سيرها في الطريق.

(٣١) فريد الدين العطار وجلال الدين الرومي من كبار شعراء الصوفية.

(٣٢) يعني أن أصله من هذه الأمة، فإن يكن دخانًا فهو من هذه النار.

(٣٣) ما قصدت ما يفعله الشعراء من نحت الأصنام وعبادتها، أي المدح والخنوع، للكبراء، أو للآراء السائدة.

(٣٤) هو هندي يغلبه اللسان الفارسي، وهو كالهلال كأسه لم تملأ، أي لم يتم نوره.

(٣٥) خوانسار وأصفهان أخرجتا شعراء وألحانًا كثيرة.

(٣٦) الهندي اللغة الأردية التي نظم بها إقبال بعض دواوينه، والدري اللغة الفارسية.

(٣٧) يعني صار قلمه من شجرة الطور المقدسة التي رأى موسى عندها النار.

(٣٨) ناسبت الفارسية أفكاره فكتب بها، وينبغي أن ينظر إلى معانيه لا إلى ألفاظه الفارسية المعيبة.

(٣٩) خلاصة الأبيات المتقدمة: أن الذاتية وهي واحدة اتخذت في الكون مظاهر مختلفة يحارب بعضها بعضًا، والحياة في هذا الخصام وهذا التنازع بين مظاهر الكون.

(٤٠) في الأبيات الثلاثة المتقدمة يشير الشاعر إلى أن الخلقة لها مقصد تهدم من أجله آلاف الأشكال، ولا تبلغ الكمال إلا بهذا الهدم.

(٤١) عشق فرهاد شيرين قصة رائعة في الأدب الفارسي، والختن بلاد معروفة بظباء المسك.

(٤٢) يعني إبراهيم الخليل وأحمد النبي صلوات الله عليهما.

(٤٣) في الأصل: تقوم وتثير وتطير وتبرق وتحترق وتجفل وتضيء وتقتل وتموت وتنبت، وقد اختصرتها في الترجمة.

(٤٤) عمل الذاتية في الطين منه ازدهار العالم، والليل نومها والنهار يقظتها والأجزاء في الكون شرر شعلتها الواحدة، تنشق فتكون الأجزاء، وتنبسط فتكون الصحراء، ثم تحزئل — أي ينضم بعضها إلى بعض — فتكون جبالًا.

(٤٥) قطرة الماء استكملت ذاتها فصارت درة، والخمر ضعفت ذاتها فهي مائعة تستعير قوامها من الكأس.

(٤٦) حذف بيت قبل هذا البيت وآخر بعده اختصارًا.

(٤٧) حذف بيتان بعد هذا البيت اختصارًا.

(٤٨) هذا مثل شعري آخر من قوة الذاتية شجر الچنار تقوى ذاته فيعلو وتكسوه حمرة كأنها النار، وكل هذا لأن حبته قوية محتفظة بذاتها.

(٤٩) الخلاصة أن الذات التي تجمع قوة الحياة تخرج بحرًا زاخرًا من غدير صغير.

(٥٠) المقصد مثل جرس القافلة ينبهها للسير.

(٥١) هو من العقل كالخضر من موسى؛ يهديه ويبين له الحقائق. في بيان أن حياة الذات بتخليق المقاصد وتوليدها.

(٥٢) الوهق حبل فيه أنشوطة تمسك به الخيل المسيبة، ويصاد به، وخيط الكتاب الخيط الذي تجمع به أوراقه بعضها إلى بعض.

(٥٣) في هذا البيت وما بعده يضرب أمثلة لعمل الأمل في العالم؛ فيقول: إن العين خلقت حينما قصد الإنسان الرؤية، ورجل الحجلة خلقت من أجل السير والتبختر، وحلق البلبل من أجل التغريد.

(٥٤) العقل كذلك من مواليد الأمل.

(٥٥) كل نظام في الناس وسنن وعلم وفن، آمال انبعثت من القلب بقوتها فتصورت صورًا شتى.

(٥٦) توعي: تجمع وتدخر.

(٥٧) حذف بيت قبل هذا اختصارًا، والكامل هنا الإنسان المرشد الذي يهدي المبتدئ.

(٥٨) إشارة إلى جلال الدين الرومي وشيخه شمس التبريزي الذي نقله من العلم إلى العشق، والروم هنا أرض الروم وهي آسيا الصغرى.

(٥٩) المعشوق المذكور في هذه الأبيات هو الرسول.

(٦٠) إشارة إلى ما جاء في الأثر مثل: أنا عبد آكل إكلة العبد وأجلس جلسة العبد.

(٦١) إشارة إلى قصة بنت حاتم الطائي حين جيء بها إلى المدينة في الأسرى فألقى عليها الرسول برده وأطلقها.

(٦٢) إشارة إلى عفو الرسول يوم فتح مكة عن قريش، وقوله: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ﴾.

(٦٣) يعني أننا كالبصر يصدر من عينين، هو واحد وإن اختلف مصدره.

(٦٤) نحن ممتزجزن كما يمتزج الراح والزجاج.

فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر

(٦٥) إشارة إلى قصة حنين الجذع الذي كان يخطب عنده الرسول حين انتقل عنه إلى مكان آخر.

(٦٦) هو بستان ناضر من مطر آذاره، والضمير للرسول ﷺ.

(٦٧) جمع ما جمع من المعاني من تسريح عينه في مآثر الرسول.

(٦٨) الشيخ عبد الرحمن الجامي من كبار العلماء والشعراء والصوفية في القرن التاسع الهجري.

(٦٩) للعشق أشكال مختلفة منها التقليد أحيانًا، وهو يدعو هنا إلى تقليد الرسول.

(٧٠) هاجر إلى الحق لتقوى؛ ثم ارجع إلى نفسك فاحطم ما بها من أهواء.

(٧١) فاران: اسم مكة أو جبالها.

(٧٢) إشارة إلى الآية: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ أي لتكون خليفة الله في الأرض.

(٧٣) إشارة إلى قصة عمر حين سقطت درته من يده وهو راكب فنزل ليأخذها ولم يرضَ أن يناوله إياها أحد.

(٧٤) ركوب عود من القصب أو الجريد كما يفعل الأطفال.

(٧٥) لا نور في سينائها يهدي إلى الحق، إشارة إلى قصة موسى.

(٧٦) لا تسأل المال ولو من عين الشمس.

(٧٧) السمة التي على وجه القمر سمة اجتدائه نور الشمس.

(٧٨) إشارة إلى الأثر: الكاسب حبيب الله.

(٧٩) لا يطلب من الخضر شربة ماء، وعند الخضر ماء الحياة كما في القصص.

(٨٠) همته يقظانة وإن كان جده نائمًا.

(٨١) يتخيل الشعراء حباب الماء كأسًا فارغة وهي في البحر، فضرب الشاعر الحباب مثلًا في العفة والإباء.

(٨٢) تحكم أي تصير قوية محكمة.

(٨٣) دارا وجمشيد من ملوك الفرس القدماء.

(٨٤) الشيخ أبو علي قلندر من كبار صوفية الهند في القرنين السابع والثامن، والقصة التي يسير إليها الشاعر وقعت بين الشيخ والسلطان علاء الدين الخلجي،

وخلاصتها أن أحد مريدي الشيخ ذهب إلى السوق وكان موكب العاهل قادمًا فنادى أحد الحرس الدرويش ليفسح الطريق، فلم ينتبه فضربه على رأسه، فذهب إلى شيخه شاكيًا، فكتب الشيخ إلى السلطان: إما أن تعزل عاملك أو أنصب مكانك ملكًا آخر، فخاف السلطان وأرسل الشاعر الكبير أمير خسرو — وكان ماهرًا في الموسيقى — فغنى بعض شعره على الرباب، فلما آنس من الشيخ قبولًا أبلغه رسالة السلطان يطلب عفو الشيخ فعفا عنه، ويريد إقبال بهذه القصة بيان قوة النفس التقية المستغنية.

(٨٥) هذا البيت يشير إلى مطلع قصيدة فارسية للشيخ أبي علي قلندر فيها ذكر البلبل والورد.

(٨٦) أمير خسرو الدهلوي من كبار الشعراء في القرن الثامن الهجري.

(٨٧) طبل النوبة كان يضرب في أوقات معينة على أبواب الملوك.

(٨٨) قال الكبش إلخ.

(٨٩) ساعد الضأن ويد الأسد.

(٩٠) فادعى في القوم، أي ادعى الكبش.

(٩١) ﴿كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾ و﴿نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾ اقتباس من القرآن، جاء في الأصل.

(٩٢) مذهب إقبال قائم على أن الخير في إثبات الذات والشر في نفيها.

(٩٣) الحبة الواحدة لا تبالي بالبرق ولكن البرق يحرق البيدر الكبير.

(٩٤) يداس العشب فينمو، فالذلة فيها نفع.

(٩٥) لعل فيها إشارة إلى ما يفعله نساك الهند، وإلى الصورة التي تمثل ثلاثة قرود؛ واحد يسد فمه، والثاني أذنيه، والثالث عينيه.

(٩٦) أعرض عن الحواس.

(٩٧) يؤمن بعالم الأحلام لا عالم اليقظة، ولا تبصر عينه الماء، ولكن تبصر السراب — الآل السراب.

(٩٨) الحي يعيش في عالم الإمكان، عالم الحس، والميت يعيش في عالم الخيال، عالم الأعيان عند أفلاطون، وهذا رد على أفلاطون.

(٩٩) خلق أفلاطون عالمًا لا يثب ظبية ولا يتبختر حجله — والحجل طير جميلة في مشيها تبختر.

(١٠٠) الحبة في طبيعتها النمو والفراش في طبعه حب الضوء، ولكن حبة أفلاطون تكره النمو، وفراشه يكره الضوء.

(١٠١) رأى إقبال أن يحلق الفكر ليعود إلى عالم الحس، لا ليبقى في عالم التفكير والتخيل.

(١٠٢) الكور مجمرة الحداد.

(١٠٣) يقول: إن الأمل وسيلة العمل، والأمل يخلقه الميل إلى الخير والجمال.

(١٠٤) ضمير الشاعر فيه شقائق لا يراها الناس، وفيه بكاء وغناء لا يسمعونه.

(١٠٥) إشارة إلى قصة الخضر واهتدائه إلى ماء الحياة في أرض الظلمات.

(١٠٦) يكمل دائرة الحياة.

(١٠٧) السرو: شجر طويل، يصفه الشعراء بالرشاقة والتمايل.

(١٠٨) بنات البحر: حيتان خرافية، نصفها الأعلى كالإنسان، تغوي الملاحين بأنغامها حتى تغرق السفن.

(١٠٩) أي لا تشتهي العمل ولا تطيقه.

(١١٠) نيسان: من شهور الربيع يكثر فيه المطر، وهذا الشاعر الذي يصفه إقبال ليس في نيسانه سيل من البرق، أي: ليس في سحابه برق ولا مطر، وقد شبه إقبال وميض البرق بالسيل، والآل السراب، أي بستانه سراب من اللون والرائحة.

(١١١) بهزاد: مصور إيراني ماهر، يقول إقبال: إن هذا الشاعر شوه صورة العشق، وفي الأبيات التالية يبين ما أصاب العشق من الذلة والخور على لسان شاعر السوء.

(١١٢) يستجدي أو يحاول السرقة فيركله الحارس.

(١١٣) هذه الأوصاف تعرب عن غيظ إقبال من الشعراء الذين أذلوا الآداب الإسلامية.

(١١٤) إقبال معجب بالعرب الذين حملوا رسالة الإسلام إلى أقطار الأرض، لا يصدهم شيء، ويكبر الهمة والقوة والصبر فيهم، ويمدح الأدب العربي القوي.

(١١٥) الهما: طائر خرافي إن سقط ظله على إنسان صار ملكًا، والشاعر هنا يخاطب المسلم قائلًا: إن الهما الذي يمنح الناس الحظ قد علا حظه بأنك صدته فأنت أعلى منه، فارفع عشك فوق الجبل.

(١١٦) الأنوق: العقاب.

(١١٧) اقتباس من القرآن، وهو في الأصل.

(١١٨) إذا وفق الإنسان بين نفسه وبين القانون أطاع القانون مختارًا لا مجبرًا.

(١١٩) الشقيق: شقائق النعمان، وهي في الشعر مثال الوجد والاحتراق.

(١٢٠) في الأبيات السابقة ضرب الشاعر أمثالًا مختلفة لسير الأحياء والأشياء على قوانين.

(١٢١) ينصح المسلم بالتزام الشرع واحتمال شدته، فهذا قانون لا يسعد الإنسان بدونه، ويقول للمسلم: كنت حرًّا باتباع دستورك القديم؛ فارجع وقيد رجلك بهذا القيد الجميل، ففي هذا القيد حريتك لا عبوديتك.

(١٢٢) لا إله: اختصار لا إله إلا الله، وهكذا يستعملها الشاعر في كثير من شعره، يقول: إنما السبيل إلى أبطال طلسم الخوف أن تمسك عصا من التوحيد كعصا موسى تبطل السحر.

(١٢٣) لا: إشارة إلى نفي ما سوى الله.

(١٢٤) يضع السكين في حلق ولده كإبراهيم الخليل.

(١٢٥) خيط الكتاب ما تضم به صفحاته بعضها إلى بعض.

(١٢٦) البكر الجمل الفتي، ويراد به الجسد، مسايرة للتشبيه الذي بدأ به الفصل.

(١٢٧) لا يزال الشاعر في تشبيه الجسد بالجمل، فالصعب هنا الجمل غير الذلول.

(١٢٨) البساط البالي الأباطيل الموروثة.

(١٢٩) يخلق من فكره أكوانًا أخرى، لا يقيده ما هو واقع.

(١٣٠) المضراب: أداة تضرب بها أوتار العود.

(١٣١) الهاء في هوه للوقف، والبيت مردوف في «الأسما» و«أسرى».

(١٣٢) يعدو تحته حصان الزمان، أي يسير الزمان سريعًا إلى مقصده.

(١٣٣) إن قال قم انبعثت الأرواح من قبور الأبدان.

(١٣٤) يبدل قيم الأعمال بما يضع من معايير جديدة.

(١٣٥) يكثر في الفارسية ذكر الفارس والغبار، يقال مثلًا: رب فارس في هذا الغبار، والشاعر يقول هنا: قد أصابنا ما أصابنا ومرت بالناس محن، فارتفع غبارهم، فظهر هذا الفارس من هذا الغبار، يعني: أن هذا الإنسان الكامل لا يناله الناس إلا بعد حوادث شديدة.

(١٣٦) الأكمام: جمع كم الزهرة قبل أن تنفتح، يقول: إن الكم عندنا سينفتح عن روضة، وعيوننا تضيء بنور المستقبل.

(١٣٧) الأبيات السبعة الأخيرة خطاب للإنسان الكامل أو النائب الإلهي.

(١٣٨) هنا عنوان فصل حذفته، وحذفت معه اثنين وعشرين بيتًا لم أجد في ترجمتها فائدة، والكلام بعدها متصل بما قبلها.

(١٣٩) لا تكن وردة وكن كالحجر صلابة، وكن سورًا يحمي الأزهار.

(١٤٠) يغير نظام الموجودات إن لم تلائمه، يعني: يسخر عالم الطبيعة في مراده.

(١٤١) يغير ما يزعمه الناس تأثير الفلك وحكم الأيام.

(١٤٢) الضمير في هذا البيت والأبيات التالية يعود إلى الخور، وفيها يبين إقبال تعذير الضعفاء والتماس أسماء مختلفة لضعفهم.

(١٤٣) جمام جمشيد: وهي كأس خرافية كانت ترى فيها الأقاليم السبعة.

(١٤٤) ينبغي أن يذكر القارئ أن إقبالًا يعني قوة الروح والخلق أيضًا.

(١٤٥) الشيخ علي الهجويري مؤلف كتاب: «كشف المحجوب لأرباب القلوب» في التصوف، كان من كبار الصوفية الذين وفدوا على البنجاب، ووعظوا فيها ونشروا الدعوة الإسلامية، توفي سنة ٤٦٥هـ، ومزاره في لاهور يقصده الناس من كل صوب، ونسبته إلى هجوير إحدى قرى غزفة.

(١٤٦) والشيخ الجشتي أحد عظماء الصوفية ودعاة الإسلام في الهند، أسلم بدعوته كثير من الهنادك، أقام في أجمير وتوفي بها سنة ٦٣٢هـ، ومزاره أعظم المزارات الإسلامية في الهند، ويشير إقبال في هذا البيت إلى زيارة الجشتي قبر الهجويري في لاهور واعتكافه عنده زمنًا.

(١٤٧) .السحابة الراعدة الممطرة

(١٤٨) العقاب جمع عقبة.

(١٤٩) الردى: أن تغفل الذات لا أن يفارق الروح البدن.

(١٥٠) كن مثل يوسف؛ أقام في نفسه فأحكمها، فمضى من السجن إلى الوزارة.

(١٥١) أبدى السر في قصة قصيرة ككم الزهرة.

(١٥٢) هذا البيت من شعر جلال الدين الرومي.

(١٥٣) هي مضيئة بنور الشمس، وهي في خوف أن تجف في أشعة الشمس.

(١٥٤) قطرة الندى كأنها كوكب من السماء تجلى على الأرض، والندى في شعر إقبال يرمز أحيانًا للأمور العلوية.

(١٥٥) الأكمام: أكمام الزهر، وهذه القطرة سريعة الزوال لم تأخذ نصيبًا من الحياة الذاتية.

(١٥٦) كن في صلابة الفضة باجتماع الذرات المضطربة كالزئبق.

(١٥٧) بناريس: بناريس المدينة المقدسة في الهند.

(١٥٨) يدعو هذا الشيخ إلى استمساك البرهمي بدينه وكماله فيه ما دام برهميًّا، ويرى الكمال ولو في الكفر خيرًا من النقص، ثم يقول إن الموحدين لا يسيرون على نهج إبراهيم الذي كسر الأصنام، والوثنيين لا يتبعون آزر الذي نحتها.

(١٥٩) الخطاب من نهر الجنج لجبل همالا، وخلاصة المحاورة: أن النهر يعير الجبل بالعجز عن المسير، فيجيب الجبل بأن البقاء في ثبات الكائن في مقامه، وأن الفناء في زواله عن مقوماته، وهذه المحاورة تصور رأي إقبال في إثبات الإنسان ذاته وتقويتها، وأن نفيها أو الغفلة عنها يودي بها.

(١٦٠) الريح: الرائحة، لا ترم أن يقطفك الناس لتفوح رائحتك.

(١٦١) اقتباس من جلال الدين الرومي مع تغيير في اللفظ.

(١٦٢) إن كنت ماء فاحفظ نفسك في البحر حتى تصير لؤلؤة، أو كن سحابًا ذا برق ورعد يجتدي منك البحر ماءه.

(١٦٣) الحق: الله تعالى، يبلغ المؤمن درجة يفنى فيها رضا الحق في رضاه، أي: يكون رضا الحق، والشطر الثاني مأخوذ من جلال الدين الرومي.

(١٦٤) القصة التي نظمها الشاعر في هذا الفصل كانت بين السلطان شاهجهان والشيخ ميا نمير، وشاهجهان أحد سلاطين الدولة الإسلامية المغولية في الهند، ولا تزال آثاره في العمارة زينة الهند كلها ومفخرتها، وهو باني المزار ذائع الصيت «تاج محل» في مدينة أجرا، شاده لزوجه ممتاز محل، حكم (١٠٣٧–١٠٦٨هـ) ومير محمد المعروف بميا نمير هو أحد مشايخ الطريقة القادرية في الهند، ولد في السند سنة ٩٣٨هـ، وأخذ عن شيخه الشيخ محمد خضر، ثم انتقل إلى لاهور فأخذ عن مشايخها، وقد عظمت مكانته فكان يزوره السلطان جهانجير، ثم ابنه شاهجهان صاحب القصة، وتلمذ له عبد الحكيم السيالكوتي المعروف في علم الكلام، توفي سنة ١٠٤٥هـ ومزاره مقصد الزائرين في لاهور اليوم.

(١٦٥) هل من مزيد جاءت في الأصل بلفظها العربي، يعني جعل سيفه يقول: هل من مزيد.

(١٦٦) قال الشيخ: سلطاني ... إلخ.

(١٦٧) جوع السائل يضره وحده، وجوع صاحب الدولة يخرب البلاد.

(١٦٨) كن قطرة لا ترضَ بغاية، فهي تشرب البحر في ظمئها، الصدى الظمأ.

(١٦٩) إشارة إلى قصة الغار والحمامة التي عششت عليه، يعني: إن لم تكن ذا همة تطير عن الأرض، فلا تطلب المنزلة الرفيعة.

(١٧٠) بيت من جلال الدين الرومي.

(١٧١) سلك الدر نظمه في السلك.

(١٧٢) أي الحكماء المشائين.

(١٧٣) شيخ تبريز شمس الدين التبريزي، الصوفي، الذي أرشد جلال الدين الرومي إلى التصوف، وكمال هو كمال الدين الجنيدي شيخ شمس الدين.

(١٧٤) انتهت قصة الرومي والتبريزي.

(١٧٥) بردا الأولى فعل ماض، والثانية البرد الذي ينزل من السحاب.

(١٧٦) إشارة إلى قصة إبراهيم الخليل في القرآن الكريم، وقوله حينما أفل الكوكب ثم القمر: لا أحب الآفلين، وكأن الشاعر تصور الآفل خامدًا، فقال: إن علم المسلم من نار القلب، والإسلام ترك ما يأفل أي يخمد.

(١٧٧) إشارة إلى قصة إلقاء إبراهيم في النار، وكونها بردًا عليه وسلامًا.

(١٧٨) الكحل سواد طبيعي في منابت أشفار العين، يقول الشاعر: أيها الساعي للجمال المصنوع غافلا عن جماله الطبيعي يعني المسلم المقلد غيره الغافل عما عنده.

(١٧٩) يعني اركب الأهوال وراء ما تبتغي، واطلب المنفعة عن كل ضار، واجعل ماء الخنجر — أي بريقه — ماء الحياة.

(١٨٠) علم هذا العصر فيه نار كنار الشقائق، لا حرارة فيها، وله بريق كبريق الندى لا نار فيه.

(١٨١) السلطان محمود الغرنوي فاتح الهند الملقب مكسر الأصنام، يعني: أن العشق كمحمود والعقول كالأصنام.

(١٨٢) الضمير في هذا البيت يرجع إلى العقل أو علم العصر الحاضر، ليس في كأسه نشوة، ولا في ليله دعاء «يا رب» وما فيه من وجد.

(١٨٣) يرجع يخاطب المسلم.

(١٨٤) نفر من سواد الكعبة: فخرج من الحرم فتمكن منه الصياد.

(١٨٥) يرى إقبال أن الإنسان ينبغي أن يثبت في نفسه وأخلاقه وسنته، ويبعد في مساعيه دون أن ينسى مركزه؛ فهو كالوردة ينتشر عرفها ويلتئم ورقها، فإذا تفرق الورق فنيت.

(١٨٦) نحن مسلمون، ولكن في أنفسنا وثنية من عبادة الهوى والخضوع لغيرنا.

(١٨٧) الدمى: جمع دمية، يراد بها الإنكليز، وما عندهم من مال ومناصب الخ.

(١٨٨) يعني: أن الشيخ صار شيخًا بابيضاض شعره لا بعلمه وتقواه، والأطفال يسيرون وراءه ساخرين منه، وأحسب الشاعر يعني ضربًا من رجال الطرق في الهند.

(١٨٩) «لا إله» اختصار لا إله إلا الله حيثما جاءت في شعر إقبال.

(١٩٠) مأخوذ من بيت لحافظ الشيرازي:

شب أز مسجد سوى ميخانه آمد پيرما چيست ياران طريقت بعد أزين تدبيرما؟

(١٩١) الوقت سيف من كلام الإمام الشافعي رضي الله عنه (المؤلف).

(١٩٢) حيدر: علي بن أبي طالب.

(١٩٣) انظرا: فعل الأمر مع نون التوكيد الخفيفة.

(١٩٤) الحيوان: الحياة.

(١٩٥) إشارة إلى الأثر: لي مع الله وقت لا يسعني فيه نبي مرسل ولا ملك مقرب، ويريد الشاعر أن يقول: إن الوقت حال الإنسان لا ساعات الفلك.

(١٩٦) الضمير يرجع إلى الوقت.

(١٩٧) يقول الشاعر: إنك أحيانًا كالرائحة لا تثبت في بستانها، وأحيانًا سجين في سجن بنته يداك تسير مع ساعات الزمان وتحبس نفسك فيها والوقت هو أنت.

(١٩٨) لفظ القضاء والقدر، يعتل به ويحيل الأمور عليه.

(١٩٩) عزم الحر من القضاء، ويقول الشاعر في هذا: إن القضاء يستشير الحر فيما يفعل.

(٢٠٠) لا يعتل بأن شيئًا فات وقته وأن شيئًا لم يحن وقته، بل عزمه يطوع كل وقت لما يريد.

(٢٠١) القافية مردوفة والروي في حضور ومرور.

(٢٠٢) أبيات إقبال هذه في الوقت وفي التفريق بين العبيد والأحرار من أروع ما عرفته الفلسفة والشعر.

(٢٠٣) في هذا البيت والأبيات بعده يذكر إقبال ماضي المسلمين.

(٢٠٤) في هذا البيت وأبيات تليه يخاطب الشاعر أهل الغرب المسيطرين على العالم.

(٢٠٥) يشير إلى أول سورة في القرآن: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾.

(٢٠٦) الخطاب لله تعالى.

(٢٠٧) يعني تكلفنا واجبات عظيمة، وليس في يدنا اليوم أسبابها.

(٢٠٨) إشارة إلى الآية: ﴿إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنْ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾.

(٢٠٩) يعني: أضاع المسلمون خيط الاتحاد فتعقدت أمورهم.

(٢١٠) الورق: ورق الكتاب والسلك الخيط الذي يجمع به الورق.

(٢١١) «لا»: يريد النفي في كلمة التوحيد، نفي ما سوى الله، و«إلا الله» هي الإثبات في هذه الكلمة.

(٢١٢) الشقر: شقائق النعمان، وهي زهر أحمر يضرب به المثل في الاحتراق، ولكن الشاعر يقول: إن هذه النار الباردة تمحوها نار دموعي.

(٢١٣) قلبه متصل بذكرى الماضي، ولكن عينيه تريان المستقبل، وتطمحان إليه، وهذا المعنى يكرره إقبال.

(٢١٤) البيت من فاتحة المثنوي لجلال الدين الرومي في وصف الناي.

(٢١٥) نار تحرق المحسوسات وتنفذ إلى البواطن.

(٢١٦) هذه النار نار العشق تخرج بالعقل عن حدوده الضيقة، وتحرق ما لقنه الناس من علم، انظر الكلام عن العشق والعقل في مقدمة ضرب الكليم.

(٢١٧) يبكي إقبال لخلوِّ عصره من القلب، كما يبكي المجنون لخلو المحمل من ليلى.

(٢١٨) يعني: أنه كالشمع لا يجد فراشًا أهلا لناره، ليس له أصحاب أو تلاميذ يفقهون عنه ما يقول.

(٢١٩) الشقيقات: جمع شقيقة واحدة الشقائق التي تسمى شقائق النعمان، هو وحيد وإن كان في جماعة.

(٢٢٠) يريد إقبال نجيًّا مجنونًا، والجنون في لغة إقبال الهيام والإقدام إلى غير أحد.

(٢٢١) يكون له ناحتًا كآزر، ويكون صنمًا له يتوجه إليه توجه العابد إلى الصنم.

رُموز نفي الذات

جِدْ بنفيِ الذاتِ ذاتًا، لا تهابْ … اجتهد، واللهُ يهديكَ الصواب

جلال الدين الرومي

مهداة إلى الأمة الإسلامية

إيه يا مُنكرًا أحاديثَ عشقي … ليس بي حُرقةٌ تكون بغيري

عرفي[1]

ختم الله إليكِ الأمما … بكِ حقًّا كلُّ بَدءٍ خُتما

كم تقيٍّ فيكِ كالرسْل مُنيبْ … وجريحِ القلب رفَّاءِ القلوب

لكِ طرفٌ بالنصارى سُحِرا … وعن الكعبة أبْعدتِ السُّرى[2]

يا مَن الأفلاك من هَبوتِها … «مَن رنا الكونُ إلى طلعتها»[3]

سرتِ كالموج دءوب السفرِ … «أين تبغين مَرادَ النظر؟»[4]

كفَراش في لظى الحب اصبري … وخذي عُشك بين الشررِ

أحْكِمي العشق بروح قد صفا … جدِّدي العهد بحبِّ المصطفى

صحبةَ النَصرانِ قلبي هجرا   حينما وجهكِ عندي أسفرا
ورفيقي رهنُ حسن الآخرين   واصف الطرَّة منهم والجبينْ
سدَّةَ الساقي بخدَّيه يَدوسْ   منشدًا قصة غلمان المجوسْ[٥]
وأنا فيكِ قتيلُ الحاجبِ   وتُرَاب في حِمَاكِ الحادب
أنا من نظم مديح أرفعُ   لستُ ممَّن لأمير يَركعُ
كم مرايا صُغتُها من كلِمي   فعن اسكندرَ تعلو هِممي[٦]
لا تَرى المنَّةَ جيدي تأطِر   من زهور الروض حِجْري صَفِرُ[٧]
مُقْدِمٌ في الدهر مثل الخِنجرِ   من قلوب الصخر مائي أمتري[٨]
أنا في نار الحياة الشرَرُ   في ثيابٍ من رمادي أستَرُ

* * *

قصدتْ بابكِ روحي في خشوع   في هدايا من لهيبٍ ودموعْ
إن في الزرقاء يَمًّا يقطرُ   فوق قلب لاهبٍ لا يفتُر
أجمعُ القطر ربيعًا جاريًا[٩]   وإلى رَوضِكِ أُزجي صافيًا
قد حُبيتِ الحبَّ من محبوبنا   أنت قلب قد ثوى في صدرنا[١٠]
قذف العشقُ بقلبي حُرَقا   صاغ مرآةً فؤادي المُحرَقا
وشققت الصدر، كالورد لكِ[١١]   مُدنيًا مرآته من وجهك
لتنالي نظرة من سِحرِكِ   وتُرَيْ مغلولةً في شَعركِ[١٢]
ثم أشدو قِصَصًا من أمسك   فأذَكِّي حُرَقًا في نفسِكِ

* * *

أسأَل الحق حياةً تحصُف   لفريق نفسَه لا يعرف
نائحٌ والليل ساجٍ سادلُ   يهجَع الناسُ ودمعي هاطلُ
تصطلي روحي بحزن وألَمْ   وِردُ «يا قيُّوم» أُنْسِي في الظُّلَمْ
أملًا في الصدر صيَّرتُ دما   ليُرَى في أدمُعي مُنسجما
ما احتراقي كشقيق أبدًا   فيم أستجدي من الفجر الندى[١٣]
أنا كالشمع دموعي غُسُلي   في ظلام الليل أذكِي شُعَلي
محفِلُ الناس بنوري يُشرقُ   أنشرُ النور ونَفسي أحرقُ
ما لناري في الحشا من فَترةِ   ما بأسبوعي فَراغُ الجمعة[١٤]

إن روحي في سحيق الجَسد آهةٌ ثوبَ غبار ترتدي[١٥]
مُذْ براني الحقُّ فجرَ الخلقة زلزلتْ أوتارَ عودي أنَّتي
أنَّةٌ للعشق تُفشي سرَّهُ آهةٌ في العشق تُذكي جمرهُ
تجعل العصفَ لهيبًا يُحرقُ وفَراشًا من تراب تَخلُق[١٦]

* * *

في ضمير العشقِ وَسْمٌ كالشَقِرْ وله وردةُ وجدٍ تستعرْ
هذه الوردة أحبُو صَدركِ في سُباتٍ منك أذكِى حشرَكِ
لأرى في تُربكَ الروض الينيعْ وبأَنْفاسكِ أرواحَ الربيعْ

تمهِيد في معنى ارتباط الفرد والأمة

رحمةٌ للفرد حِجْر الأَمَّة كاملٌ جوهرُه في الملَّة
فالْزَمَنَّ الجمعَ جهد المستطاعْ في ذَرا الأحرار كنْ مثلَ الشعاعْ
واحفظن ما قاله خيرُ البشر: كلُّ شيطانٍ من الجمع نفرْ
فَردُنا مرآتهُ أمتُهُ وكذا مرآتُها صورته
وهما سلك نظام ودُرَرْ أو نجومٌ تتجلَّى في النهَر[١٧]
قيمةُ الأفراد جدوى الملَّةِ ومن الأفراد نظم الأمة[١٨]
وإذا الواحدُ في الجمع نما كان كالقطرة صارت خِضْرِما
جُمع الماضي له في لُبِّه والتقى الغابرُ والآتي به
صلَةَ الأمس تراه والغدِ وقتُه لا ينتهي كالأبدِ
هو بالأمة قلبٌ طامحُ وهْو بالأمة سعيٌ رابحُ
روحه من قومه، والبدنُ سرُّه من قومه والعَلَنُ
بلسان القوم يشدو منطقَا ومن الأسلاف يَقفو طُرُقا
تُنضجُ الفطرةَ فيه الصحبةُ فتراه الفردَ وهْو الأمَّةُ
تُحكمُ الوحدةَ فيه الكثرةُ وهي، بالوحدة فيه، وحدة[١٩]
أفرِدِ اللفظ من البيت ترى جوهر المعنى لديه انكسرا[٢٠]
تسقط الأوراقُ من غصن ينيع فترى محرومةً وصلَ الربيعْ

طفئت أنغام أعواد غِناء | فاتها من زمزم الأمة ماء
يُحرَم الفردُ الوحيدُ المقصِدا | فترى نظمَ قُواه بَدَدا
تجمع الأمة شملَ المُنَّة | فيه تحبوه عظيمَ الهمَّة
نشأت بالقيد حرًّا مطلقًا | أثبتت في الأرض سروًا بَسَقا[٢١]
ظَبيُه الوثَّابُ مِسكا يَعبِق | إن حواه من نظام وَهَق[٢٢]
أنت لم تعرف «خودي» من «بيخودي» | أنت لا ريب من الشك رَدِي[٢٣]
إن في طينك نُورًا قد بدا | بشعاع منه أبصرتَ الهدى[٢٤]
كل غمٍّ ورضًا من دورتهْ | أنت حيٌّ بتوالي ثَورتِه
أنت منه أنت حقًّا، وأنا | أنا، وهو الفرد لا يرضى ثُنا[٢٥]
يخلق النفس ويَذرو ويُقرّ | ذو دلال في خضوع مستتر[٢٦]
يأسر الشعلةَ هذا الشرَرُ | لهبٌ من حرِّه مُستعرُ[٢٧]
حرة رهنُ قيود فطرتُه | جزؤه بالكل حاطت قوَّته
لكفاح دائم تنزُو قُواه | هو يُسمى الذاتَ أو يُسمى الحياهْ
يستثير الحربَ في جلوتِه | حين يُبدي النفس من خلوته[٢٨]
يقطع الجبرُ عليه الطرُقا | وله بالحبِّ فرعٌ سَمَقا[٢٩]
تتشظَّى الذات في أمتها | لتُرى الروضة من زهرتها[٣٠]

نكتةً خذها، كسيف مِخْذَم
وانصرف عنِّيَ إن لم تفهم[٣١]

في معنى أن الملة تنشأ من اختلاط الأفراد وأن تكميل تربيتها بالنبوة

ما ارتباط الجمع، أنَّى يوصَفُ؟ | قصةٌ أولها لا يُعرفُ
إننا نبصر فَردًا في الجميعْ | زهرةً نقطف في هذا الربيع[٣٢]
فطرة تنهج نهج الوَحدةِ | إنما تُزهر وَسْط الروضة
كلُّ فرد بأخيه ائتلفا | مثلَ درٍّ في سمُوطٍ أُلِّفا
لَفَّهم في عيشهم معتَرَكُ | كل فرد بأخيه مُمسِكُ
من جِذابٍ تتوالى الأنجمُ | كوكبٌ من كوكبٍ مستحكِمُ

* * *

كان رَكبُ الناس مأواه الجبال ومروجٌ وسُهوب ورمالْ
نسجُه ما أُحْكِمتْ لُحْمتُهُ فكرهُ ما فُتِّحَت زهرتُهُ
عودُه ما بلحونٍ رَنَّما لحنه لمَّا يُؤَلِّفْ نَغَما
لم يُثِره من رجاء مِضْرَبُ لم يَخزه بزبانيَ مطلب[٣٣]
محفل غُفْل حديث المولد جامُه من خمره غير ندي[٣٤]
لم يُرعرع في ثَراه نجمُه كرْمه ما فار فيه دمُه[٣٥]
فكره دارٌ لغيلان الخيالْ خائف من وهمه في كل حالْ
ذو وجود ضيِّقٍ ميدانُه قد أحاطت فكرَه جُدرانُه
طينُه من خيفَةٍ قد خُلقا قلبه من قصف ريحٍ خَفَقا
روحه من كل صعب تهرُبُ يده في أرضه لا تضربُ
كل ما ينمو بأرض يقطِفُ كل ما ترمي سماءٌ يلقَفُ

* * *

ثم يهدي الله ذا قلب بصير يكتب الأسفار من حرف يسير
عازفٌ في كلِّ نفْس ينفُث وحياةً في مَواتٍ يَبعث
تقبس الذرَّة من أنواره كل قَدر حالَ في معياره[٣٦]
يُنشر الأنفسَ منه نَفَسُ بشعاع منه يُزهَى مجلِسُ
شفةٌ تُحيي وعينٌ تَجذِبُ وحَّدا الأشتات، هذا عَجبُ[٣٧]
يهب الناسَ جديد النظر يجعل البِيدَ كروضٍ نَضِرِ[٣٨]
فترى الأمة منه سائره بلهيب منه حَرَّى ثائره
شررًا في قلبها قد أشعلا فأحال الطين فيها شُعَلا
سيره يعطي التراب البَصرا فإذا الذرة سيناءَ تَرَى[٣٩]
عاريَ العقل بجدواه كسا وهب الثروةَ هذا المفلِسا[٤٠]
ينفُخ الجمرة في موقِده ويذيب الغِش من عسجده[٤١]
ويفكُّ العبدَ من أغلاله ويُجير القِنَّ من أقياله
قائلا أن لستَ عبدًا فاعلَمِ أترى قدرك دون الصنَم[٤٢]

يجذب الإنسانَ شطر المقصد جاعلَ الشرع زمامًا في اليدِ
نكتةَ التوحيد يوحيها إليه
أدبَ الطاعة يمليه عليهْ[٤٣]

أركان الأمة الإسلامية الركن الأول التوحيد

طوَّف العقل بدنيا العِللِ قاده التوحيد شطر المنزلِ
أعوَزَ المنزلُ هذا السابلا زورقُ الفكر أضلَّ الساحلا
في «آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا» مُضمرَ رمزُ توحيد لقلبٍ يُبصرُ[٤٤]
يبتلي التوحيدُ فيك العملا فيجلِّي لك سرًّا أغفِلا
يُشرق الدينُ به والحكمةُ ويُرى الأيدُ به والمُكنةُ
قد تجلَّى حيرةً للعالِمين وتجلى عملا في العاشقين
يرتقي في ظله المتضِعُ ويصير التُربُ تِبْرًا يَسطع
يجتبي التوحيد عبدًا ثابَرا فيردُّ العبد خلقًا آخرا
فهو في الحق حثيث دائبُ دمُه كالبرق فيه لاهِبُ
ريبه يَفنَى ويحيا العمل عينه في الكون يَقظى تعمَلُ
في «مقام العبد» إن تثبتْ قدم جَرَّة السائل تُصبحْ جامَ جم[٤٥]
«لا إله» الروحُ في أمتنا «لا إله» اللحن في نغمتنا[٤٦]
«لا إله» السرُّ في أسرارنا «لا إله» السمط من أفكارنا
صار قلبًا إن حواها حجرُ كل قلب لم تُنِرْه، مَدَرُ
يتلظى الكون من زَفرتِها ويضيءُ القلب من وَقدتِها
وتُسيل القلبَ ماء في الصدور تصهر المرآة منه في الحَرور
شعلةٌ في روحنا مثلُ الشقيق كل ما نمتاره منها الحريق
بيَّض التوحيد مُسودَّ البَشَرْ فأبو بكر أخوه وعمر
ليس إلا القلبَ قربٌ وابتعادْ وهذه الكأس بها هاج الفؤاد
وحدة القلب قوام الأمة أشرقت سيناء من ذي الجلوة
قد هدى الأمة سُبْل العمل هذه الفكر بها والأمَلِ

نـزعـةٌ واحـدةٌ فـي قـلـبـهـا فـعِـيـارُ الـحـسـن والـقُـبـح بـهـا
لا يُـجـيـد الـفـكـرُ فـي قـيـثـاره دون نـار الـحـق فـي أوتـاره[٤٧]
نـحـن فـي الإسلام أبـنـاء الـخـليـلْ من «أبيكم» خذ إذا شئت الدليلْ[٤٨]
أُمَـمٌ قـد عَـبـدتْ أوطـانَـهـا وبـنـتْ مـن نـسـب بـنـيـانَـهـا
أتَـرى الأوطـان أصـلَ الأمـم تُـعـبَـد الأرض بـهـا كـالـصـنـم؟
إنـمـا الأنـسـابُ فـخـرُ الـسـفـهـاء حُكمها في الجسم، والجسمُ هبَاءْ
ضـمَّـنـا فـي الـحـق أسٌّ آخَـرُ هـو فـي الألـبـاب مـنَّـا مُـضـمَـرُ
قـد خـلـصـنـا مـن حـدود وقـيـود قلبنا في الغيب إذ نحن شهودْ[٤٩]
ضـمَّـنا، كـالزُّهـر، نـظـم مـضـمَـرُ بـصـر لـيـس يـراه مُـبـصـرُ[٥٠]
وُحِّـد الـرئْـيُ لـنـا والـفـكـرةُ كـسـهـام جـمـعـتْـهـا جَـعـبـةُ[٥١]
نـحـن فـكـرٌ وخـيـال واحـد ورجـــاءٌ ومـــآل واحــــدُ
نـحـن مـن نـعـمـائـه حِـلـفُ إخـاء قـلـبـنـا والـروحُ والـلـفـظ سـواء

في معنى أن الخوف والحزن واليأس أمهاتُ الخبائث[٥٢] وقاطعات طريق الحياة، وأن في التوحيد دواء هذه العلل الخبيثة

عُـدَّة الـمـوت قُـنـوطٌ مُـحـبِـطُ والحياة الحقُّ أن «لَا تَقْنَطُوا»[٥٣]
إنـمـا الـعـيـشُ رجـاءٌ يُـوصَـل فـقـنـوطُ الـحـيِّ سـمٌّ يَـقـتـل[٥٤]
يـأسـك الـقـبـر إلـيـه تـرجـع إن تكنْ أَلْوَنْدَ فهو المصرع[٥٥]
رُبَّـت الـخـيـبـة فـي أكـنـافـه ونـمـا الـعـجـز عـلـى ألـطـافـه[٥٦]
آه مـن نـوم الـحـيـاة الـمُـخـدِر إنـه آيـة ضـعـف الـعـنـصـر
كحله في العين يُعمي البصرا ويـرُّد الـصـبـح لـيـلًا أكـدرا[٥٧]
نـفـسٌ مـنـه سَـمـومٌ لـلـحـيـاه كـل يـنـبـوع بـه جـفَّ ثـراه
وهـو لـلـغـمِّ حـلـيـف واصِـلُ إنــمــا الــغــمُّ لــحــيٍّ قــاتــلُ
يا سـجـينَ الـغـمِّ أبـصِـر واسـمـعِ من رسول الله «لا تحزن» وعي[٥٨]
ذلـك الـنـصـح سـرى فـي قـلـبـه فـغـدا الـصـديـقُ صـدِّيـقًـا بِـه
إنـمـا الـمـسـلـم مـثـل الـكـوكـبِ بـاسـمٌ فـي سـعـيـه والـدأبِ

حـرِّر الـنـفـس مـن الـغـم ودَعْ إن عـرفـت الـلـه، أغـلال الـطـمـعْ
قـوة الإيـمـان تُـحـيـي فـاعـلَـمـنْ وردَ «لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ» فاقرأَنْ[٥٩]
قلبه من «لَا تَخَفْ» قلبٌ سليمْ حين يمضي نحو فرعونٍ كليمْ[٦٠]
خـوفُ غـيـر الـلـه قَـتْـل الـعـمـلِ وهـو لـلأحـيـاء قـطـعُ الـسُـبُـلِ
وبـه الـعـزم يـخـاف الـغِـيَـرا وتـرى الـمـقـدام مـنـه حَـذِرا
من نما ذا البذر يومًا في ثَراهْ حَـرمـتْـه مـن تـجـلِّـيـهـا الـحـيـاهْ
فـهـو فـلٌ وهـو شـادٍ يَـعْـزف بـيـد شُـلَّـت وقـلـبٍ يـرجُـفُ
يـسـرق الـرجـلَ قُـوَى تـسـيـارهـا يـسـلـب الـرأسَ قـوى أفـكـارهـا
إن تـجـلَّـى لـعـدوٍّ خـوفُـكـا هـانَ كـالـورد، عـلـيـه قـطـفُـكـا
سـيـفـه يـزداد فـتـكًـا فـي الـيـد عـيـنـه فـيـك حـسـام لا يَـدي[٦١]
غلَّـنـا الـخـوفُ، وكـم فـي بـحـرنـا مـن عُـبـاب مـائـجٍ فـي دهـرنـا
إن أبَـى الـنـغـمـة يـومًـا مِـزهـركْ فـمـن الـخـوف تـنـدَّى وتـرُكْ
فـاعـرُك الأذنَ يَـثُـر فـيـه الـغـنـاء ويـهـزُّ الـلـحـنُ آفـاق الـسـمـاء
كـل شـرٍّ فـي فـؤاد يُـضْـمَـرُ أصـلـه الـخـوفُ، إذا مـا تُـبـصِـرُ
مـن ديـار الـمـوت عـيـنٌ قَـدِمـا مثل ميم الموت قلبٌ أظلما[٦٢]
عـيـنـه تـلـبـيـس آثـار الـحـيـاه أذْنـه تـدلـيـس أخـبـار الـحـيـاه[٦٣]
يُـزهِـر الـخِـبُّ بـه والـمَـلـق ونـفـاق الـقـلـب مـنـه يـورقُ
ثـوبُـه لـلـزور سـتـرٌ والـريَـبْ حِـجْـره الـفـتـنـةُ فـيـه والـحـرَبْ
حُـرِم الـخـوفُ طـمـوحَ الـهـمـةِ فـهـو خِـدنٌ لـحـلـيـف الـذلـة

كلُّ مَن يفقه سرَّ المصطفى
يجدُ الإشراكَ في الخوف اختفى

محاورة السهم والسيف

قـال سـهـم مـرهـف يـوم الـزحـامْ قـال لـلـسـيـف ولـلـحـرب ضِـرام
يـا مَـن الـجِـنَّـة فـي أعـطـافـه ذو الفقار العضبُ من أسلافه![٦٤]
خـالـدًا صـاحـبـت يَـفْـري الـفـيـلَـقـا وعـلـى الـشـام نـثـرتَ الـشـفـقـا[٦٥]

نـارُ قـهـر الـلـه فـي جـوهـرِكـا جـنَّـةُ الـفـردوس مـأوى ظـلِّـكـا!
إنني في الجوِّ أو في جَعبتي حيثما كنت، بجسمي شُعلتي
وإذا الـقـوس رمـتـنـي لـلـثُّـبور بصُرت عيني بأحناء الصدور
إن خلا الصدر من القلب السليم مـا بـه يـأس ولا خـوفٌ مـقـيـمْ
نـفـذ الـنـصـل خِـلالَ الأعـظُـمِ فكسوتُ الجسمَ دِرعًا من دمِ
وإذا حَــلَّاه قــلــبٌ مــؤمِــن نـورُه الـظـاهـرُ مـمَّـا يُـبـطـنُ
ذاب روحــي مــن فــؤاد وَقــدا وهمى نَصلي كقطْرات الندى

قصة السلطان عالمكير والأسد[٦٦]

إنَّ عـالـمـكـيـر عـالـي الـمـنـزل مـن بـنـي تـيـمـور فـخـرِ الـدول
كـــان لـــلإســـلام مـــنـــه عِـــزَّةُ ولـحـكـم الـشـرع فـيـه حُـرمـةُ
آخـرُ الأسـهـم فـي جَـعـبـتـنـا فـي ذيـاد الـكـفـر عـن مـلَّـتـنـا
غَـرَسَ الإلـحـاد فـيـنـا أكـبـرُ فنمـا فـي طـبـع دارا يُـزهِـر[٦٧]
وخبا في الصدر مصباح الفؤادْ وبـدت أمـتـنـا رهـنَ فـسـادْ
فتولَّى الـهند في ذي المحنةِ زاهـد ربُّ حـسـام مُـصـلـتِ
اجتباه الحق للدين المبين اجـتـبـاه أجلَ تـجـديـد الـيَـقـيـنْ
أحرَق الألحادَ من برق الحُسامْ وأنـار الـديـنَ فـي هـذا الـظـلامْ
حـرَّف الـجُـهَّـال عـنـه مـا جـرى فكرُهم عن قصده قد قصَّرا
كـان إبـراهـيـم بـيـت الـصـنـمِ في لظى الحق فَراشًا يرتمي
كـان فـي الأمـلاك فـردًا خـيِّـرا زهـده مـن قـبـره قـد ظـهـرا[٦٨]
ذاكم الـمَـلـك الـفـقـيـر الـجـاهـد زينة العرش المليك الماجد[٦٩]
سار صبحًا مُوغلًا في غَيضة مـعـه مـن جـنـده ذو ثـقـة
في نسيم الصبح نشوانَ خَطَر سامعًا تسبيح طير في الشجرْ
وامَّحى السلطان في شوق الصلاه من مجاز حثَّ للحقِّ خُطاه
وأتـى لـيـث مَـهـيـبٌ فَـتِـك صـوتُـه يَـرعَـد مـنـه الـفـلـكُ
شـمَّ ريـح الإنـس بُـعـدا فـدنـا وعلى السلطان أهوى البُرثُنا

فـإذا الـخـنـجـر مـنـه فـي الـيـد　　بـاقـرًا كـالـبـرق بـطـن الأسـد
لـم يـفـزَّع قـلـبـه بـالـبـغـتـة　　خال ليث الغاب ليث الصورة[٧٠]
ثــم لـــلــحــق دعـــاه الــولَــهُ　　فـي صلاة الوجد معـراجٌ لـه[٧١]
مثل ذا الـقـلـب الـذي لـم يَـهِـن　　دارُه بـالـحـق صـدر الـمـؤمـن
إنـمـا الـعـبـد أمـامَ الـحـق «لا»　　وهـو للزور «نـعـم» لن يَبطُلا[٧٢]
أيـهـا الـغـافـل! قـلـبًـا حـصِّـلا　　هـيِّـئَـنْ لـلـحِـبِّ هذا الـمـحـمـلا[٧٣]
ابـذِل الـنـفـسَ تَـنَـلْـهـا لا مـفـرّ　　ذلَّ لـلـحـق تَـنـلْ عـزَّ الـدهَـر
أحـرقـنْ بـالـعـشـق خـوفًـا وانـهـدَا　　حـمـلًا فـي الـحـق لـيـثًـا لـلـعِـدى

إنَّ خـوف الـلـه إيـمـانٌ جـلـيّ
ثـمَّ تـقـوى غـيـره شـرك خـفـي

الركن الثاني الرسالة

تـاركُ الآفِل، من قَبل الـخليل　　هُو للرُسْل على النهج دليل
إنــه لـــلــه فــيــنــا آيــةُ　　رُبِّيت فـي قـلـبه ذي الـمـلـةُ
«طَـهِّـرَا بَـيْـتِـي» إلـيـه أنـزلا　　بعد سيل من دموع سُيِّلا[٧٤]
قـفـرةً مـن أجـلـنـا قـد عَـمَّـرا　　وبَنى البيتَ الذي قد طَهَّرا
«تُبْ عَلَيْنَا» نضرت زهرتها　　فنَمتْ في أرضنا روضتها[٧٥]
صـوَّر الـرحـمـنُ منَّا هـيـكـلا　　وحـبـاه الـروحَ مـمـا أَنـزلا
أحـرفًـا كـنـا ولـسـنـا كـلِـمـا　　فـتـألـفـنـا كـبـيـت نُـظِـمـا
بـالـرسـالات بـدا تـكـويـنُـنـا　　شـرعُـنـا مـنـهـا ومـنـهـا ديـنُـنـا
ذاك من «يهدي إليه من يريدْ»　　حلقةٌ منها حوالينا يشيد[٧٦]
حـلـقـة ذات مـحـيـط يُـعـجـزُ　　ساحةُ البطحاء فيها مركز[٧٧]
نـحـن مـمَّـا جـمَّـعـتـنـا أمَّـةُ　　أُرسلت للناس فيها الرحمة
مـوجُـنـا فـي بـحـرهـا متَّـصـلُ　　موجة من موجة لا تُفصَل
أمـةٌ فـي حـرزِ سُـور الـحـرَم　　في حفاظٍ مثل أسْد الأجم[٧٨]
إن تـحـقَّـق مـمـعـنًـا فـي كـلِـمـي　　نـظـرةَ الـصـديـق ربِّ الـفَـهَـم

فالنبي الروح فينا والعصَبْ وإلى القلب من الربِّ أحَب
سِفْرُه في القلب نبع القوَّة شَرعه حَبل وريد الأمَّة
قطع حبلٍ منه للموت رديف كذبول الورد في ريح الخريف
حيَّتِ الأمة من ترياقه صُبحها نوَّر من إشراقه
وحَّد المرسَلُ فينا النغَما والطوايا والمُنى والألَما
كثرةُ الأُلَّاف عينُ الوحدة ومن الوحدة نَشء الأمة[٧٩]
وحدة القصد حياة الكثرة مقصد المسلم دين الفطرة
علَّم الفطرة خيرُ الرُّسلِ فمضينا للهُدى كالشُعَل
بحره أخرج هذا الجوهَرا نحن روحٌ واحدٌ منه سَرى
هذه الوحدة ما لم تفقَدِ تحفظ المسلم حتى الأبدِ
ختم الله علينا شِرْعَتهْ وعلى المرسَل فينا بعثَته[٨٠]
محفل الأيام منا يَبسمُ خُتِمَ الرُّسْل بنا والأمم
خدمةَ الساقي إلينا صرفا جامَه الآخِرَ فينا خلَّفا
لا نبيٌّ بعدُ» فضلٌ عُرفا إنه حرمةُ دين المصطفى[٨١]
إنه قوة هذي الملة إنه سرُّ اتحاد الأمة
كلُّ دعوى بعدها للأفَنِ أحكِم الإسلامُ طولَ الزمن

ما سوى الحق قلاه المسلم
قائلًا: «لا قوم بعدي» فاعلموا

في بيان أن مقصود الرسالة المحمدية تمكين الحرية والمساواة والأخوَّة بين البشر

عبد الإنسانُ أصنام البَشرْ فهو في عُدم وذلٍّ محتقر
قيصر العَسفِ وكسرى قيَّدا منه جيدا ثم رجلًا ويدا
ومن القسِّيس والمَلْك طِلابْ بخراج الحقل، والحقلُ خرابْ
نصب الأشراك للصيد الضرَعْ بائع الجنَّة أُسْقُفَّ الخُدَع
حقله قد عاش فيه البَرْهَمنْ ومجوسٌ أحرقت ما قد خَزنْ

أضعف الرقُّ لديه الهِممَا		لَحنُه في عوده سال دما

* * *

وأمينًا بعث المولى به		سَلَّم الحق إلى أصحابه
رفعَ العُبدانَ بالحق إلى		سُرُر الخاقان والزورَقلَى
بثَّ في برد الرَّماد الشُّعَلا		فعلى برويزَ فَرهادُ علا[٨٢]
سَلب السلطانَ حِزْبَ الآمرينْ		فسما بالحق قدرُ العاملينْ
عزمُه هدَّ قديمات الصُوَر		وبنى حصنًا جديدًا للبشر
بثَّ روحًا حيَّت الموتى بها		وافتدى الأعبدُ من أربابها
مولد مات به العصر القديم		وبيوتُ النار والوثْنِ حطيم
أزهرَ التحريرُ في روضته		هذه الصهباء من كرمَتِه
عصرنا اللألاء في أنواره		فتحَ الأعينَ في أحجاره[٨٣]
خطَّ في العالم سطرًا مُبدَعا		أُمة فاتحةً قد أبدعا
صدرها من وَقدة الحق أضاء		ذرَّة منها أنارت في ذُكاء
أشرق الكون بها إذ يبتني		كعباتٍ من بيوت الوثنِ
ولدتها الأنبياء القُدُم		فإذا الأتقى لديها الأكرم
إخوةٌ فيها جميع المؤمنين[٨٤]		طينها حرية في العالمين
المساواة لديها فطرةُ		ومن التمييز فيها نفرةُ
نسلها كالسرو حر قد علا		عهدها أحْكِم من «قالوا بلى»[٨٥]

سجدة الحق بسيماها غُرَر
قبَّل النجمُ ثراها والقمر

قصة أبي عبيد وجابان في معنى الأخوة الإسلامية[٨٦]

مُسلمٌ في حَومة الحرب أسَرْ		قائدًا من جيش كسرى ذا خَطرْ
قائدٌ ربُّ خداع ماكرُ		عجمَ الأيامَ ذئبٌ غادر
لم يعرِّف آسريه باسمه		أو يحدِّث أحدًا عن وسمهِ
قال للآسر: يا ذا الكرمِ		آمِنَنِّي، ذاك شأنُ المسلمِ

وضع الجنديُّ في الغمد الحسام　　مُعلنًا أن دَمُك اليوم حَرام
وخبَتْ في الحرب نيران العَجَمْ　　وهوى من آل ساسان العَلَمْ
فإذا المأسور جابان الكبيرْ　　قائد في جند إيران أميرْ
أقبل الجند بصوت قارِع　　يسأل القائد قتل الخادع
بُو عبيدٍ قائد العُرْب الأبيّ　　عزمُه في الحرب عن جيش غنيّ[٨٧]
قال يا قوم: ألسنا المسلمين　　نغمةً واحدة في العالَمينْ
من أبي ذرٍّ عَلتْ أو حيدر　　من بلال سُمعتْ أو قَنبرِ[٨٨]
كلُّ جنديٍّ أمينُ الملةِ　　صلحه والحرب عهدُ الأمة
إنَّ جابان عدوٌّ غشِيمُ　　لكن الأمنَ حَباه مُسلمُ
دَمُه اليوم عليكم حُرِّما
أمةَ المختار! أوفوا الذمَما

قصة السلطان مراد والعمار[٨٩] في معنى المساواة الإسلامية

أخرجت أرضُ خُجَندٍ صانعا　　نال في التشييد صيتًا ذائعا
صانعًا فرهادُ حقًّا وَلدا　　لمراد مسجدًا قد شيَّدا[٩٠]
غضب السلطان من تقصيره　　لم يرَ الإتقانَ في تعميرِه
قدَحت عينُ المليك الشررا　　ويدَ المسكين فورًا بترا
سار للقاضي حزينًا يجأر　　دمُه من يده يَنْهمِرُ
قال: يا مَن قولُه الحقُّ المبين!　　يا حفيظًا شرعَ خير المرسلين!
لستُ للسلطان عبدًا فاسمَعِ　　حكِّم القرآن فينا واقطعِ[٩١]
قرعَ الحاكم سنَّ المبُلسِ　　ودعا السلطانَ نحو المجلس
فأتى السلطانُ يخشى ذنَبه　　هيبةُ القرآن تُدمي قلبَه
عينُه من خجَل للقَدَمِ　　وعلى خدَّيه لونُ الندَمِ
وقف الخصمان: خصمٌ يشتكي　　وخصيمٌ في ثياب الملكِ
جَهر السلطان: إني نادم　　لا أردُّ الحق إني جارم
وتلا القاضي: حياةٌ في القصاصْ　　ذاك قانونُ حياةٍ، لا مناص

ليس دون الحرِّ عبدٌ مسلمُ وحَّدَ المعمارَ والمَلْكَ دمُ
سمع القرآن يُملي حكمهُ فنضا السلطانُ فورًا كمَّه[٩٢]
إذ رأى الخصمُ الذي قد فعلا آيةَ الإحسان والعدل تلا[٩٣]
قائلا: لله أعفو وكفى إنني أعفو لأجل المصطفى
نَملةٌ عزَّت سُليمان القويّ انظرن سطوة قانون النبيّ
جمع القرآنُ مولًى وفتاه
وذوي التيجان سوَّى بالرعاه

في بيان أن الأمة الإسلامية مؤسسة على التوحيد فلا تحدُّها الأمكنة

قلبنا الخفَّاق يأبى مَوطِنا ريحه العاصف تأبى مسكنا[٩٤]
ليس من هند وروم قلبُنا ما سوى الإسلام فيه أرضُنا
كعبٌ الشاعر في خير العباد أنشد المِدحةَ من بانتْ سعادْ[٩٥]
نظم الدرَّ منيرًا في ثناه من سيوف الهند سيفًا قد دعاهُ[٩٦]
مَن على الأفلاك فيه رفعةُ لم ترقهُ لبلاد نسبةُ
قال: سيف من سيوف الله قلْ يا نصير الحق زورًا لا تقلْ
وكذاكم قال ذو القدر العلي مَن سَناه كحل عين الرسل:
ليَ من دنياكم قد حُبِّبَا بعض ما فيها حلالًا طيبًا[٩٧]
إن تكن سرَّ المعاني تعلمُ فافهم النكتة في «دنياكمُ»
كان في الدنيا وفيها ما سَكَنْ ذلك المشرق في ليل الزمَنْ
مِنْ سَناه قد تجلَّى العالَم مُشرقًا إذ كان طينًا آدمُ
لستُ أدري ما حماه والوطنْ أنا دارٍ أنه فينا سكن[٩٨]
قد رأى في أرضنا دنيَا لنا وهو في الدنيا كضيف بيننا
إذ أضعنا القلب في هذا اليَباب وفقدنا النفس في هذا الترابْ
لا تحدُّ الأرضُ قلبَ المسلِم لا يُرى في تيهِ أنَّى وكمِ[٩٩]
ليس للمسلم في الأرض عَطنْ حائرٌ في قلبه كلُّ وطن[١٠٠]
حصِّلِ القلبَ ففي وُسْعَتهِ ضلَّ هذا الكونُ في فسحته

عـقـدةَ الأقـوام حـلَّ الـمـسـلـمُ   هـجـر الـدارَ الإمـامُ الأعـظـم[١٠١]
أمـةً مـلء الـدُنَـى قـد أسَّـسـا   جـعـل الـتـوحـيـد فـيـهـا أسُـسـا
صـارت الأرض لـديـنـا مـسـجَـدا   إذ أشـاع الـفـضـل فـيـنـا وهـدى
ذلك المحمودُ في الذكر الحكيمْ   ذلـك الـمـحـفـوظ بـالـلـه الـرحـيـم
تـفـزع الأعـداء مـن هـيـبـتـهِ   فـي ارتـعـاد مـن سَـنـا طـلـعـتـهِ
فـلـمـاذا أرض أهـلـيـهِ هـجـرْ؟   أتـراه خـشـيـة الأعـداء فـرّ؟
حجبَ القصَّاصُ معنى القصةِ   غلطوا في فهم معنى الهجرة
هـجـرةٌ شـرعُ حـيـاة الـمـسلِـم   هـجـرةٌ سـرُّ ثـبـات الـمـسـلـم
إنـهـا الـتَـسـيـار نـحـو الـوُسـعـة   ولأجـل الـيـمِّ تـرك الـقـطـرة[١٠٢]
اهـجـر الـزهـرة أجْـلَ الـروضـة   إن هـذا الـخـسـر ربـح الـكـثـرةِ
شـرفُ الـشـمـس مسيرُ مطلَقُ   فـيـه مـن فـوق الـبـرايـا تـخـفـق
لا تكن نَهرا من السُّحْب يُمَدّ   وكـن الـبـحـرَ، عُـبـابًـا لا يُـحَـدّ
اقـصـدن تـسـخـيـر كلِّ الـعـالَـم   لـتُـرى سـلـطـان أهـلِ الـعـالَـم
لا يـقـيِّـدك مُـقـامٌ فـي الـورى   وكـن الـحـوت يَـسـيـحُ الأبـحُـرا
كل مَن حُرِّر من ذلِّ الجهات   فـلـك يُـزهِـر مـن كـل الـجـهـاتْ
تـركَ الـوردَ شـذاه فـسـرى   في فسيح المرج عِطرًا نَشَرا
يـا أسـيرًا قـد ثـوى فـي روضـةِ   عـنـدلـيـبًـا هـائـمًـا فـي وردةِ!
سَـيِّرنْ نـفـسـك حـرًّا كـالـصَّـبـا   ثـم عـانـق كـلَّ أزهـار الـرُّبَـى

احذرن من خدعة العصر الجديدْ
الـتـبـاسَ الـنـهـج حـاذر يـا رشـيـدْ

في بيان أن الوطن ليس أساس الأمة

قـطَّـعـوا الأرحـام بـيـن الأخـوةِ   صـيَّـروا الأوطـان أُسَّ الأمـةِ
قـدَّسـوا الأوطـان إعـجـابًـا بـهـا   قـسَّـمـوا الإنـسـان أسـرابًـا بـهـا
طلبوا الجنة في «بِئْسَ القَرَار»   «فَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارْ»[١٠٣]
مـحـق الـجـنَّـة هـذا الـشـجـرُ   لـيـس إلا الـحـربَ فـيـه ثـمـرُ

أنكر الإنسانُ وجهَ الإخوة وانتهت قصةُ الإنسانيةِ
ذهب الإنسان روحًا وانقضى بقيت أقوامُه وهْوَ مَضى
منصب الدين حواه الساسة فنمت في الغرب هذي الآفةُ
دين عيسى بطلت قصتُه وخبت في دُوره شُعلتُهُ
عجز الأسقفُّ عن تقديره حادت الأزلام عن تدبيره
قوم عيسى حقروا بِيعَته أبطلوا في سوقهم سِكتهُ
مزق الدَّهريُّ ثوب المذهب ومن الشيطان قد وافى نَبي
ذا الفُلَورَنسِيُّ عَبدُ الوثن كحلُه أودَى بنور الأعينِ[١٠٤]
خطَّ للأملاك سِفرًا منكرًا وبذورَ الحرب فينا بذرا
مزَّق الحقَّ بحدِّ القَلم فطرةٌ تؤثر عَيش الظُلَمِ
آزرُ العصر، بدا تزويرُه خطَّةً بِدعًا جلا تفكيرهُ
جعل الملك إلها دينُه كل قبح ناله تحسينه
جعل النفع عيار الذمَم حينما خرَّ لهذا الصَنم[١٠٥]
صارت الحيلةُ فنًّا مُحكما ونما الباطل ممَّا عَلَّما
خطةً للوهن فينا حبكًا في طريق الدهر ألقى حَسَكا
أرمد الناسَ بهذي الحكمة
إذ دعا التزوير بالمصلحة

في بيان أن الأمة المحمدية ليس لها حدود زمانية أيضًا

أرأيت الطير في عُرسِ الربيع وهياجَ الكمِّ والورد الينيعْ
وعَروسُ الزهر نَشوَى النَغَم وعلى الأرض قُرى من أنجمِ
غسَل العشبَ دموعُ السحَرِ وشدا الماء لنوم النهَرِ
وإذا الكِمُّ على الغصن ربَا منحتْه حِجرَها ريحُ الصَّبا
دَمِيَ البرعومُ من قطفتهِ ومضى كالريح عن روضته[١٠٦]
عشش الورقُ وطار البلبلُ وشذًى فرَّ وطلٌّ ينزل[١٠٧]
ليس يُكرى من ربيع رونقُ حين تذوى زهرات تَعبِقُ

مـحـفـل الأزهـار بـاق يـضـحـك ... لا يُـبـالـي كـنـزُه مـا يُـهـلـك
موسم الأزهار أبقى في الدهَر ... هـو أبـقـى مـن ورود وزهَـر[١٠٨]
لا يـبـالـي جـوهـرًا قـد كُـسـرا ... مَعدن يُنمي ويُبدي الجوهرا
كـم شـروقٍ وغـروبٍ، لا مـقـرّ! ... أكـؤسٌ تـؤخـذ مـن دَنِّ الـدهَـر
خـمـرةٌ مـن شَـرِبـهـا لا تـنـفَـدُ ... تذهب الآماس والباقي الغدُ[١٠٩]
ثـابتٌ فـي الـدهـر تـقـديرُ الأمـمْ ... من مَسير الغدِ سيَّارِ القَدَمْ
يَسفُر الخِلُّ وتبقى الصحبة ... يـرحـل الـفـرد وتـبـقـى الأمـة[١١٠]
ولـهـا عـيـشٌ ومـوتٌ آخـرُ ... ثـم ذاتٌ وصـفـاتٌ أُخَـر
ينشأ الفردُ من الطين القليل ... تـولـد الأمـة مـن قـلـبٍ جـلـيـلْ
نفَس الأمة يُحصَى بالمئينْ ... ويعيش الفرد عَشْرات سنين
وحـيـاة الـفـرد روحٌ فـي بـدنْ ... وحياة الشعب في حفظِ السُنَنْ
موت فرد نضب وِردٍ للحياه ... موتُ قوم ترك قصدٍ للحياه

* * *

كـمـمـات الـفـرد تـفـنـى الأمـم ... ولـهـا يـومًـا قـضـاء يُـحـتَـمُ
أمـة الإسـلام تـأبـى أجـلا ... أصلها الميثاق في «قالوا بلى»[١١١]
لا تّـخـاف الـموتَ هـذي الأمـةُ ... «نـحـن نزَّلـنـا» لـديـهـا حـجـةُ[١١٢]
دام ذكـرٌ مـا أقـام الـذاكـر ... بـدوام الـذكـر دام الـذاكـر[١١٣]
ذلـك الـمـصـبـاح أنَّـى يُـطـفَـأ؟ ... قال ربي عالمًا: «أن يطفئوا»[١١٤]
أمـة الـحـق إلـى الـحـق تُـنـيـبْ ... أُمة يعشقها أهل القلوب[١١٥]
مصلتٌ بالحق ذا السيف الصقيلْ ... مصلتٌ من غِمد آمال الخليل[١١٦]
مـا سـوى الـحـق مـحـاه بـرقُـه ... لـيـعـيـدَ الـحـقَّ حـيًّـا نـطـقـه
نـحـن لـلـتـوحـيـد أقـوى حـجـةِ ... للكتاب اختارنا والحكمة[١١٧]

* * *

أضـمـر الـدهـر عـلـيـنـا ثـارَهُ ... مـخـفـيًـا فـي صـدره تـاتـاره
أطـلـق الـفـتـنـةَ مـن أحـبـالـهـا ... ورمـى بـالـطـود مـن أثـقـالـهـا
فـتـنـةٌ مـوطـئُـهـا هـامُ الأمـمْ ... نظرة من طرفها قتلٌ عَممْ
ألفُ هَـوْلٍ فـي حـشـاهـا يـرقُـد ... لـيـس لـلأمـس بـمـثـواهـا غـدُ

سطوةُ الإسلام للترب هوتْ ما رأت بغدادُ روما ما رأَتْ
لكن اسأل ذلك الدهر المُليمْ محدَث الأفعال ذا المكر القديمْ
روضَنا كان لهيبُ التتَر حَلْيَنَا كان نثارُ الشرر[118]
فلإبراهيم فينا فطرة وإلى المولى لدينا نسبةُ
من لهيب قد جنينا زهَرا نار نمرودٍ رددنا كوثرا
كل نار يوقِدُ الدهر لنا زهراتٌ حين تأتي روضَنا

* * *

ذهب الروم وفُضَّ الموكب شرقُها أقوى وأقوى المغرب
كأس ساسان من الغمِّ دَمُ حانُ يونان خراب مُظلم[119]
وعنتْ مصر لدهرٍ عَرِمِ وثوت أعظُمُها في الهرم
وأذان الحق فينا خلدا أمةُ الإسلام تبقى أبدا
إن للكون من العشق حياه وبه أجزاؤه شدَّت قُواه
أحيَت العشق قلوبٌ تُسعَر شبّها من، لا إله، الشرر[120]
إن نكن كالِكمِّ نُطوَى كمدا
فرَدانا فيه للروض ردى[121]

في بيان أن الأمة لا تنتظم بغير شريعة وشريعة الأمة المحمدية القرآن

أُمة خلَّت يداها السُّننا ككثيب من رمال وَهَنا
سيرةُ المسلم شرعٌ وكفى ذلكم باطن دين المصطفى
بانتظام الصوت تعلو النغمةُ وهي من دون نظام ضجَّةُ
إنما في الحلق مَوجٌ من هواء يَعلَق النظم به فهْو غناء
صاح هل تعلم ما سُنتكا؟ أيُّ سرٍّ ضَمنتْ قدرتكا؟
الكتاب الحيُّ والذكرُ الحكيم حكمةٌ في الدهر تبقى لا تريمْ
إن فيه سر تكوين الحياه يستمدُّ النِكس أيدًا من قُواه
لفظه لا ريبَ أو تبديلَ فيه آيُه لا لَبس أو تأويلَ فيه
قوة فيه تشدُّ الخورا وبها يرمِي الزجاجُ الحجرا

قطَّعَ الأشراكَ عن صيد كسير فدعا الصيَّادُ منه بالثبورْ
ذا بلاغٌ آخِرٌ للمرسَلين قد تلاه «رَحْمَةٌ للعَالَمِينَ»
ترفعُ الخاملَ فيه رفعةٌ وتقيمُ الرأس منه سجدةُ
قاطعو الطرْق هداةً صُيِّروا من كتابٍ، كم كتابٍ سَطَّروا
والبوادي من سراج زَهَرا قد أَضاءُوا بالعلوم الفِكَرا[122]
الذي يُصدَع منه الجبلُ وعلى الأفلاك منه وَجَلُ[123]
ذلك الينبوعُ من آمالنا قد حواه الصدر من أطفالنا
انظُر الظمآن في حَرِّ القفارْ عينه حمراء من وَقْد النهار
عَنْسُه كالظبي في تَعْدَائِها دمُها كالنار في رمضائها
طائفُ الصحراء يأبى الجُدُرا ضاربٌ في البيد يقلى الحضرا
خفقت في قلبه هذي السُوَرْ فاستقر الموج فيه كالدُّرر[124]
قرأ الدرس من الآي المبينْ فغدا بالحق حرًّا لا يَمين
حكمَ الدنيا جميعًا عدلُه عرشَ جمٍّ وطئته رجلُه[125]
مُدُنًا قد شيَّدت هَبوتُه ورياضًا أنبتت زهرتُه[126]

* * *

إن إيمانك في قيد الرسوم سنن الكفر لك السجنُ المقيمْ
أمركم قطعتمو فهو «زُبُر» مُسرعي السير إلى شيء نُكُرْ[127]
سكر الصوفيُّ من أحواله وانتشى باللحن من قوَّاله[128]
قلبهُ شعرَ العراقيِّ تلا ومن القرآن أقوى وخلا[129]
تاجُه والعرش صوفٌ وحصيرْ فقره يَجبِي رباطًا للفقيرْ[130]
وأخو الوعظ جُزافًا قائلُ كلِمٌ عالٍ، ومعنى سافلُ
قوله من ديلميٍّ وخطيبْ فعله حِلف ضعيف وغريبْ[131]

لكتاب الله حقٌّ. فاقرأن
كل ما تبغيه منه فاطلبَنْ

في بيان أن التقليد في زمن الانحطاط أولى من الاجتهاد

عصرنا هذا مليء بالفتَن طبعه خلقُ شرور ومِحَنْ
محفل الماضين فيه مقفر صوَّحت فيه حياة تنضُر
أنكرت أنفسَنا أنظارُنا وجفت نغمتَها أوتارُنا
شعلة التوحيد فينا سَلَبا نارَه والنورَ منَّا سلَبا
وإذا ما اعتلَّ تقويم الحياه فمن التقليد للقوم نجاه
سُنَنُ الآباء حَبلُ الملَّة ومن التقليد جَمعُ الأمة
يا خليًّا في خريفٍ من ثمرْ ارقب الغيث ولا تجفُ الشجر[١٣٢]
قد حُرمتَ البحر فاذكر خُسرَكا يا قليل الماء واحفظ نهركا[١٣٣]
فعسى سيلُ الجبال الهادرُ منه في مجراك لجٌّ زاخرُ
حالُ إسرائيلَ فيها تبصره إن تكن روحُك روحًا مُبصره
انظرن كيف ابتلاها الزمنُ وعرتْها في الخطوب المِحَنُ
وجهُها في كل حين يُلطمُ كاد في أعراقها يَفنى الدم
عصرت عنقودَها كفُّ الخُطوبْ ذكرُ هارون وموسى في القلوب
إن خبا في اللحن منها قَبسُ لم يزل في الصدر منها نفَسُ
سار في إثر الجدود المحملُ حينما انفضَّ لديها المَحفِلُ
يا من انفض له جمعٌ وجاه وخبا في صدره شمعُ الحياهْ
آيةَ التوحيد في القلب اسطُرا ومن التقليد أمسك بالعُرى
اجتهادٌ في زمان القهقرى يذهبُ الأقوام منه شذَرا
اقتداءٌ برسوم الأولين هو أولى، لا اجتهاد الغافلين
لم يُصَب آباؤنا بالهَوسِ طهُرتْ أعمالُهم كالأنفُسِ
فكرُهم كان رقيقًا مرهَفا فعلهمُ أوفى بشرع المصطفى
فِكَرُ الرازي ونجوى جعفر أينَ؟ والعُربُ هداةُ البشر
ضيق الدينُ علينا يسرَه وادَّعى كلُّ لئيم سِرَّه
قد جهلت الدين عنه حائدا الْزمَنْ يا حُرُّ نهجًا واحدا
باح لي بالسرِّ نبَّاضُ الحياه أنما في الخلف مقراضُ الحياه[١٣٤]
وحدةُ الشرع حياةُ الأمة فمن القرآن روح الملَّة

نـحـن طـينٌ وهـو قـلـب لا جَـرَمْ　　هو «حبل الله» من شاء اعتصَم

فـانـتـظـم فـي سـلـكـه كـالـدررِ

أو غـبـارًا فـي الـريـاح انـتـثـرِ

في بيان أن كمال سيرة الأمة من اتباع الشرع الإلهي

لا تقلْ في الشرع معنًى مُضمَرُ　　ليس إلا النورَ تحوي الدُّرَرُ

جـوهـرٌ أبـدع فـيـه الـقـادرُ　　جـوهـر بـاطـنـه والـظـاهـرُ

ليس علمُ الحق غيرَ الشِّرْعة　　ليس غيرَ الحب أصلُ السنَّة

شرعنا للفرد مِرقاةُ اليقينْ　　ترتقي منه مقاماتُ اليقين[١٣٥]

شِـرعـةُ الـحـق نـظـام الأمـم　　ومـن الـنـظـم دوام الأمـم

إن فـيـه الأيدَ يـا مـن أخلَصَا　　اليدُ البيضاء فيه والعصا

قام للإسلام بالشرعْ قوام　　بدؤه الشرع وبالشرع الختام

لك أُبدِي نكتةَ الشرع المبين　　أنتَ مَنْ في حكمة الدين أمين:

إن يعارض ذو عنادٍ مسلما　　في أداء النفل ما إن لزما

صار هذا النفلُ فرض الأمة　　فالحياة الحقُّ عين القدرة

وإذا جيش عدو في الوغى　　ترك الإعدادَ والسلمَ بَغى

وقضى أوقاتَه في الدعة　　تاركًا للحرب أخذَ العُدَّة

فـحـرام أخـذه بـالـبـغـتـة　　قبل أن يأخذ كلَّ الأهبة

سرُّ هذا الأمر يا ذا البصر:　　الحياة العيشُ بين الخَطرِ

يتحدَّاك برضوى العاليه　　في امتحانٍ لقواك العاتيه[١٣٦]

ويناديك أن اقصمْ ظهرها　　وبحدِّ السيف فاصهر صخرها

ليس كفءَ الليثِ في صولته　　حمَلٌ يرجف في ذلته

إن حكى الصعوةَ صقرٌ كاسِرُ　　فهْو كالصعوة واهٍ خائِرُ

كتب الشارعُ ربُّ الحكمة　　لك هذا اللوحَ، لوحَ القدرة

يشحذ العزم بنار العمل　　ويرقِّيك لأعلى منزل

وإذا تَلْغَبُ يعطيك القُوى　　ويربِّي منك طودًا ما خَوى

إن دين المصطفى دينُ الحياه   شرعه للناس قانون الحياه
إن تكن أرضًا يصيِّرْك السماءْ   ويربِّيك كما الحقُّ يشاءْ
يصقل المرآةَ من صخر شديد   وينقِّي الرينَ من قلب الحديدْ
ضيَّع القومُ شعارَ المصطفى   ضيَّعوا رَمز بقاءٍ عُرِفا
ذلك الغصن العِسيُّ المعتلي   مُسلُم الصحراء ربُّ الجَمَلِ
الذي البطحاء أزكت غرسه   ورياح البيد ربَّت نفسَه
أذبلته اليومَ ريحُ العجم   صيَّرته الناىَ روحُ العجمِ
قاتلُ الآساد ذبحَ الغنم   وطءُ نملٍ مسَّه بالألم
من أذاب الصخرَ من تكبيره   راعه البلبل في تصفيره
من علا الطودَ سريعًا مُصعدا   غلَّ بالتكلان رجلا ويدا
من برى الأعناق ضربًا عَضبُه   يلدم الصدر ويَدمى قلبُه
موقظ الآفاق من خطْواتهِ   قُيِّدت رجلاه في خَلْواته
من أطاع الناس طرًّا أمرَه   واجتدى دارا وكسرى بِرَّه
رضي القُنع وأكدَى جِدُّه   وارتضى الكدية عزًّا جدُّه
شيخنا أحمدُ من في قربه   تكسبُ الشمس سنًا من قلبه[١٣٧]
قال يومًا لمريد فهِمِ   احذرنْ يا صاح فكرَ العجمِ
فكرهم إن كان للنجم ارتقى   فهْو من سُنَّتنا قد مرَقَا
يا أخي فاسمع لهذا الرشَدِ   استمع نصح الإمام المُرشِد

وبهذا الحق فاشدُد قلبكا
واتبع العُرْبَ تُصب شِرعَتكا

في بيان أن حسن سيرة الأمة من التأدب بالآداب المحمدية

سائلٌ مثل قضاء مبرَم   صاح بالباب بصوت مُبرِم[١٣٨]
بالعصا صُلت عليه غضبا   فهوَى من يَده ما قشبا[١٣٩]
إن هذا العقلَ في شرْخ الشبابْ   لا يبالي بضلال وصوابْ
ورأى الوالدُ فعلى فنفر   وذوى في وجهه روضُ الزَهر

آهــة فــي فــمــه تــلــتــهــب قــلــبُــه فــي صــدره يــضــطــرب
كــوكــب فــي عــيــنــه قــد ومــضــا نــوَّر الــهُــدبَ قــلــيــلا ومــضــى[١٤٠]
روحي الغافل في الجسم ارتعدْ ومــضــى الــصــبــر وخــلَّانــي الــجَــلــدْ
مثل فرخ في الخريف انتفضا من رياح الليل في العش قضَى
قــال لــي الــوالــد: يــومَ الــمــحــشــر تــلــتــقــي أمــةُ خــيــر الــبــشــرِ
الــغُــزاة الــغــرُّ مــن أمــتــه وأولــو الــمــيــراث مــن حِــكــمــتــه
والــنــجــوم الــزُهْــرُ أربــاب الــصــفــاء حــجــةُ الــديــن فــريــق الــشُّــهــداء
وأولــو الــعــلــم وأربــاب الــقــلــوب وأولــو الــزهــر وأصــحــاب الــذنــوب
وعــلا فــي لــجِّ هــذا الــمــحــشــر صــوتُ هــذا الــســائــل الــمــنــكــســرِ
أيــهــا الــحــائــر فــي ذا الــمــوكــب! ما جوابي حين يلحاني النبي

قــد حــبــاك الــحــق طــفــلا مــســلــمــا
لــم تُــنــلْــه مــن كــتــابــي مــغــنــمــا
هــيِّــن الأشــيــاء قــد شــقَّ عــلــيــك
لم يَصِرْ ذا الطينُ إنسانًا لديك[١٤١]

وأنا في العَتْب من خير الرسُلْ بــيــن خــوف ورجــاء وخَــجَــلْ
أفكِرنْ في الأمر واذكر يا بُنيّ أمــةَ الــمــخــتــار إذ تــرنــو إلــيّ
لحيتي البيضاء في الحشر انظرِ رِعدتي في الخوف والحزن اذكرِ
لا تــزد عــبء أبــيــك الــوَهــنِ عــنــد مــولاي غــدًا لا تُــخــزِنــي
أنت كِمٌّ في فروع المصطَفى فتفتَّح في ربيع المصطفى
نــظــرةً مــن روضــه فــالــتــمــسِ وســنًــا مــن خُــلْــقــه فــاقــتــبــسِ
مــرشــد الــروم الــذي قــطــرتــه قد حوت بحرًا، سمتْ قولته:[١٤٢]

لا تــجــذَّ الــحــبــل مــن خــيــر الــبــشــرْ
لا تــقــل عــنــدي فــنــون وبَــصــر

فــطــرةُ الــمــســلــم طــرًّا رأفــةُ قــولــه والــفــعــل كــلٌّ رحــمــةُ
العظيم الخُلق من شق القمر رحــمــةٌ عــمــت ونُــورٌ لــلــبــشــر
لــســتَ مــن مــعــشَــرنــا فــاعــتــزلِ إن تــكــن مــنــه بــعــيــدَ الــمــنــزلِ
طــائــرٌ أنــت عــلــى دوحــتــنــا شــدْوُه والــلــحــنُ مــن نــغــمــتــنــا

إن تـكـنْ ذا نـغـمـة لا تُـفـرد — بـسـوى بـسـتـانـنـا لا تُـغْـرِدِ[١٤٣]
كل مـن أوتـي حـظًّـا مـن حـيـاه — فـي سـوى بِـيـئـتـه يـلـقـى رداه
بـلـبـل أنـتَ؟ فـفـي الـروض امـرَح — ومـع الـسِّـرب بـلـحـنٍ فـاصـدَحِ
إن تكن صقرًا فلا تغش البحَارْ — ليس إلا خلوةَ الصحراء دار[١٤٤]
أو تكن نجمًا فنوِّر في سَماك — لا يكن مَسراك إلا في الحِباك

* * *

قـطـرَ نـيـسـانَ اجـمـعـن إن تـردِ — واجعلن في الروض مأواه الندِي[١٤٥]
لـتـراه مـثـل قـطـراتِ الـنـدى — تـحـضـنُ الأكـمـامُ مـنـهـا ولـدا
وانـشِـف الأنـداء مـن جـوهـرهـا — واسـلـب الـلألاء مـن عـنـصـرهـا
بـشـعـاع الـصـبـح وضَّـاء الـبُـكـر — الذي من سحره ينمو الزَّهر[١٤٦]
لـن تـرى دُرَّك إلا كـالـحـبـاب — لـن تـرى سـعـيك إلا فـي سـرابْ
ألـقِـهـا فـي الـيـمِّ تُـعـقَـدْ جـوهـرا — مـاؤهـا يـسـطـع نـجـمًـا نـيِّـرا
قـطـرُ نـيـسـان عـن الـيـمِّ نـأى — لـجـفـاف، لـن تـراه لـؤلـؤا

* * *

طـيـنـةُ الـمـسـلـم درٌّ يـا بُـنـيّ — مـاؤهـا والـنـورُ مـن بـحـر الـنـبـيّ
قطرَ نيسان! فَغُصْ في موجه — وابـرزن، درًّا صَـفـا، مـن لـجـه
صاح! من شمس الضحى كن أنورا
كن ضـيـاءً لـيـس يـخـبـو الـدهَـرا

في بيان أن حياة الأمة تحتاج إلى مركز محسوس وأن مركز الأمة الإسلامية البيت الحرام

عـقـدةٌ تـنـحـلُّ مـن أمـر الـحـيـاه — حين أفشي لك من سرِّ الحياه:
كـخـيـال جـفـلـت مـن نـفـسـهـا — حرَّة قد نفرت من حبسها[١٤٧]
وقـتـهـا مـا فـيـه أمـسٌ وغـدُ — في دُنى الأوقات ليست تُصْفَدُ
انـظـرن نـفـسَـك حـيـنًـا واعـتـبـرْ — لـسـتَ إلَّا جَـوَلانًـا يـسـتـمـرّ

شعلة فيها أعدَّت سِتْرها ... من دخان فأشاعت سرَّها
ماؤها قد عقدته في دُررْ ... ليُرى السيرُ سكونًا في النظر
نارُها في نفسها تُخفي الحريق ... وتُرَى في الغصن أزهارَ الشقيق[١٤٨]
فكرك العاجز عنها أوهِما ... طيرانَ اللون وَردًا جُسِّما[١٤٩]
ما أَوى للعُشِّ هذا الطائرُ ... هو طيرْ وهْو لون طائر[١٥٠]
هو حرٌّ وحواه مَحبِسُ ... وهْو في النوح لحونًا يَنبُس[١٥١]
ريشه ينسلُ طيرًا كل حينْ ... يخلق الأسباب منه كلَّ حين
عُقدًا تعقد في أعمالها ... وتحلُّ العَقد في تجوالها
تسكن الطين على إسراعها ... لتزيد السير في إهطاعها[١٥٢]
كم لحون في جواها رُقَّدِ ... يومها ميلادُ أمسٍ وغدِ
في سهول كلَّ حين وحزونْ ... كلَّ حين في اختراع وفنون
إن تكن كالريح تأبى محبسا ... تنزل الصدرَ فتدعي نَفَسا
حولَها من خيطها ناسجةٌ ... حولَها من خيطها عاقدة
هي في العُقدة مثلُ الحبَّة ... مضمر فيها فروع الدَّوحةِ
تفتح العين على ما تُضمر ... فإذا الدوحة منها تَظهر
خلعة الطين عليها تُرفَد ... فإذا عين وقلب ويدُ[١٥٣]
تؤثر الخلوةَ في الجسم الحياه ... وتجلِّي نشأةَ العمِّ الحياه[١٥٤]
هكذا سنَّة ميلاد الأمم ... مركزٌ فيه حياةٌ تنتظِم[١٥٥]
إنما المركز روح الدائرة ... نقطة، فيها محيط، ضامرة
ومن المركز للقوم نظام ... ومن المركز للقوم دوام
نقطة المركز منّا الحرم ... لحنُنا والوجدُ فينا الحرمُ
نَفسٌ في صدرنا يتَّقد ... روحنا الغالي، ونحن الجسد
من نداه نَضَرت أغصانُنا ... حَيَّ من زمزمه بستانُنا
نحن من دعواه في الدنيا دليل ... نحن فيه من براهين الخليلْ[١٥٦]
صوتنا يندَى به في الأمم ... واصلا مُحدَثَنا بالقدمِ
وحَّد الملة طوفٌ حوله ... فهي صبح قد حوى صدرٌ له
وُحِّدتْ في حَسْبِه كثرتُنا ... أُحكِمتْ من وحدةٍ قوتُنا[١٥٧]

إنَّ فـي الـجـمـع حـيـاةَ الأمـم   إنَّ هـذا الـجـمـع سـرُّ الـحـرَم

* * *

أيـهـا الـمـسـلـم يـا ذا الـبـصَـر!   قـوم مـوسـى عـبـرةٌ فـاعـتـبـرِ
زهـدوا فـي مـركـز قـد جـمـعـا   فـتـراهـم فـي الـبـرايـا قـطـعـا[١٥٨]
يـا عـلـيـلا شـاكـيًـا جـورَ الـزمـن   يـا أسـيـرًا غَـلَّـه وهُـم وظـنّ
اجـعـلـن ثـوبـك ثـوب الـمـحـرِم   أطـلـع الـصـبـح بـلـيـل مُـظـلـم
افـنَ كـالآبـاء مـا بـيـن الـسـجـود   اسجدن حتى تُرى عينَ السجود[١٥٩]
من خـشـوع المسلمين الأولـين   سيطروا بالحق بين العالمين

فـي سـبـيـل الـحـق شـوكًـا وطـئـوا
فـإذا الـروضـةُ هـذا الـمَـوطِـئُ

في بيان أن الاجتماع الحقيقي من الاستمساك بمقصد،
ومقصد الأمة الإسلامية حفظ التوحيد ونشره

اعـرفـن عـنـي لـسـان الـكـائـنـاتْ   فـفـعـال الـكـون فـيـهـا كـلـمـات
ينظم المقصدُ أشتات الحياه   فتراها «مطلعًا» راع الرواه[١٦٠]
طِرفُنا من تحت مهمازِ الطلبْ   صـرصـرٌ مـا نـدَّ عـنـه مـن أربْ
إنـمـا يُـبـقـي الـحـيـاةَ الـمـقـصـدُ   هـو أشـتـات قُـواهـا يَـنـضِـدُ
حينما تدري الحياة المطلبا   تـجـعـل الـكـون إلـيـه سـبـبـا
وبـه الأشـيـاء طـرًّا تـنـقُـد   فـتـردَّ الـشـيء أو تـعـتـقـد[١٦١]
يُـبـحـر الـرُّبَّـانُ أجـلَ الـسـاحـلِ   وإلـى الـمـنـزل سَـيـرُ الـسـابـل
وعـلـى قـلـب الـفـراش الـحُـرَقُ   لـسـراج حـولـه يـحـتـرق[١٦٢]
طاف قيسٌ في الصحاري ولَها   قـاصـدًا لـيـلاه يـرجـو وَصْـلـهـا
ما اقتفينا في الصحاري أثرًا   مُـنـذ لـيـلانـا أقـامـت فـي الـقُـرى
إنـمـا الـمـقـصـودُ روح الـعـمـلِ   كـيـفَـه والـكـمَّ مـنـه تـجـتـلـي[١٦٣]
دوَرانُ الـدم فـي أعـراقـنـا   مـسـرعٌ بـالـجـدِّ فـي أغـراضـنـا
الـحـيـاة الـحـق مـنـه تـسـتـعِـرْ   تجمع النار به مثل الشقِرْ[١٦٤]

هو مضرابٌ لعُودِ الهمَّة   مركز يجذب كل القوَّة

حرَّك الأعضاء في ركب البشر   جامعًا شتى عيون في نظر[١٦٥]

فكن المجنون في هذا الحبيبْ   طُفْ به طوف فراش باللهيبْ

أبدعَ القمي فيما أسمعا   علَّم الأوتار معنى مُبدَعا[١٦٦]

رام نقش الشوك حينًا رَجلُ   فاختفى عن ناظريه المحمَل

لحظةً يا صاحبي إن تغفُلِ   ألف ميل زاد بُعدُ المنزلِ

ذاكمُ العالَم دَيرٌ قدُما   بامتزاج الأمهات انتظما[١٦٧]

كَم وكَم يُنبت من مقصبةٍ   ليراعٍ فيه نار النوحةِ

كم تدمَّت من يديه روضةٌ   لِتُرَبَّى من شقيق زهرةُ[١٦٨]

كم تُرى نقشًا وكم تمحو يداه   ليُرَى نقشُك في لوح الحياه

كم من الأرواح بُثَّت أنَّةُ   لتُعالَى من أذانٍ نغمةُ[١٦٩]

ورجالَ الزور دهرًا ربَّبا   وعلى الأحرار والَى الحرَبَا

ثم في طينك إيمانًا بذر   كلمة التوحيد من فيك نَشَرْ

نقطةٌ دار عليها العالَمُ   كلمةٌ صَار إليها العالَم

قوة فيها تُدير الفَلَكا   وبها الشمسُ تُنير الحلَكا

لؤلؤ البحر نما من نورها   وبه الموج طما من نورها

نَفحها صيَّر طينًا سنبُلا   وَجدُها صيَّر ريشًا بلبلا[١٧٠]

في عروق الكرم منها شُعلة   وبطين الكأس منها لمعةُ

لحنها في مِزْهَر الكَون استتر   أيها العازف! يدعوك الوتَر

نغماتٌ فيك تَسري كالدَّمِ   أَعمِل المضرابَ في ذا النغَم

كلمةُ التوحيد منك المقصد   أنت للتكبير فيها توجد[١٧١]

الجهاد المرُّ حِلفُ المسلم   أو يُدوِّي الحق بين الأممِ

أنت لا تدري بآيات الكتابْ   أمةَ العدل يسمِّينا الخطاب

أنت في الأيام نورٌ وبصَرْ   شاهد أنتَ على كل البشر[١٧٢]

ادعوَنْ كلَّ لبيب، أبلغِ   وعن الأمِّيِّ قولًا بلِّغِ

قوله ما فيه نُطقٌ عن هوَى   صادقٌ ما ضلَّ يومًا أو غوى[١٧٣]

نَبْضَ هذا الكون قد جسَّت يداه   فتجلَّى سرُّ تقويم الحياه

نضَّر الأزهار في رَوض الدهَر ومحا الأدناس عنها والكدَرْ
دينه فيه الحياة الخالده لا تراها عن هُداه حائده
أيها التالي الكتاب المنزَل شمِّرن، لا تقعُدن عن عمل
يعشق الأصنامَ عقلُ الأمم ناحتٌ أو عابدٌ للصنم
هو أحيا سُنَّةً من آزَرا محدِثًا فيها إلهًا للورى
اسمه لون ودار ونسب هو من سفك دماء في طربْ[١٧٤]
وعَلَى أقدام هذا الصنم ذُبح الإنسانُ ذبح الغنم
أيها الشارب من كأس الخليلْ! يا حمِيَّ النفْس من طاس الخليل!
سيفَ «لا موجود إلا هوْ» خُذِ وبه الأصنام هذي فاجذُذِ
في ظلام الدهر أشرِق للملا وانشرن حقًّا عليك اكتملا[١٧٥]
خجلتَا لك في اليوم العسيرْ حينما يسألك الهادي البشيرْ:
قد أخذت الحق عنِّي ما دهاك
لم تبَّلغه بحقٍّ لسواك!

في بيان أن توسيع حياة الأمة بتسخير قوى العالَم

مؤمنًا بالغيب غير الغافل! كارهًا كالسيل قيدَ الساحل!
اعلُ عن ذا الطين غصنًا ناضرًا وصِلِ الغائبَ واغز الحاضرا
ذلك الحاضر تفسير الغيوبْ وهو مفتاح لتسخير الغُيوبْ
ما سوى الله لتسخير العملْ صَدرُه للرمي، فاقذف لا تُبَل
ما سوى الله تراه يُخَلق لترى سهمَك فيه يمرُق[١٧٦]
عقدةٌ تلقاك بعد العُقدة ليُرَى في الحلِّ لُطفُ الحيلة
فسرَن يا كِمُّ! روضًا نفسكا سخرَن يا طلُّ! ذي الشمس لكا
من يسخر عالم الحسِّ سما ومن الذرَّة يُخرج عالَما
كل ما في الكون من بحر وبرّ لوح تعليم لأرباب النظر
أيها النائم طالت غفلتهْ عالَم الحس جفته همتُهْ
قم وفتِّح بصرًا قد سُكِّرَا لا تحقِّر عالمًا قد حُقِّرا

إنه توسيعُ ذاتِ المسلم وامتحانٌ لصفاتِ المسلِم
هو يبلوك بسَيف الزمنِ لترى أن دمًا في البدن
اضرب الصدر بفِهر القوةِ اختبر عظمَك في ذي الصدمة
جعل الحق الدُّنَى للخيِّرين وجلاها لعيون المؤمنين
هذه الدنيا طريق الظَّعَنِ هذه الدنيا محكُّ المؤمنِ
فأسِرَنْها قبل أن تأسرَكا لا تُضِعْ في جوفها جوهَرَكا
أدهمُ الفكر الذي يطوي الفضاء والذي يجتاز آفاق السماء
ساقَه في الكون حاجاتُ الحياه فهْو في الأرض وفي النجم خُطاه
يبتغي في الكون تسخير القوى لتُرى فيه بأعلَى مستَوى
نائبُ الحق، بحق آدم حكمه في الأرض ماضٍ حاكِم[١٧٧]
لك من ضيقك منها سعة ولأعمالك فيها فسحةُ
صهوةَ الريح اعلوَنْها آمرًا ألجِمَنْ هذا الجوادَ النافرا
شقَّ قلب الطود عن جوهره شقَّ موج البحر عن درٍّ به
ألفُ كون في فضاء تُكفَتُ رُبَّ شمسٍ قد حوتها ذرَّةُ
بشعاعٍ أظهرنْ ما احتجبا واكشفنْ عن كلِّ سرٍّ حُجبا
من شعاع الشمس نارًا فاقبس ومن السيل بروقًا فاخلِس[١٧٨]
ثابتُ الأنجم أو سيَّارُها التي قد عُبدت أنوارُها
كلُّها يا صاح عُبدانٌ لكا وإماءٌ سخِّرت من أجلِكا
سيِّرنْ فكرك فيها عَسسًا سخِّرن آفاقها والأنفُسا
افتح العينَ وأنعِمْ نظَرا أبصرن في الراح معنًى مُضمرا
كم ضعيفٍ في قويٍّ أمَرَا حين في الكون أجال البصرا
أيها المقصود من أمر «انظروا» كيف في آفاقها لا تنظر؟[١٧٩]
قطرةٌ من نفسِها ذاتُ خَبَرْ خمرةٌ في الكرم، طلٌّ في الزَّهَر
وهي في البحر تراها جوهرا جوهرًا كالنجم في الليل سرى
كالصَّبا لا تهفُ حولَ الصُّوَرِ اطلبْن في الروض معنى الزهَرِ
دون مضرابٍ لحونًا سَيِّرا ومن الأحرف طيْرًا طيِّرًا[١٨٠]
أيها الظالع في حَزْنِ الحياه أيها الغافل عن طعنِ الحياه

بلَّغ السعيُ الرفاقَ المنزلا | أنزَلوا ليلى وحَطُّوا المحملا
وبقيتَ اليوم قيسًا مبلِسا | في الصحاري عاجزًا مستيئِسا

«علَّمَ الأسماءَ» فخر الآدميّ[181]
حكمةُ الأشياء نصر الآدميّ

في بيان أن كمال حياة الأمة أن تشعر بنفسها كالأفراد وأن توليد هذا الشعور وتكميله من الاحتفاظ بسنن الأمة ورواياتها

أرأيت الطفل يا ذا البصَر! | ما له عن نفسه من خبَر
ليس يدري ما قريب وبَعيدْ | كرةَ النجم بكفَّيه يريد
ما سوى الأمِّ يرى منه الجفاءْ | همُّه أكل ونوم وبكاء
ليس تدري أذنُه ما النغمةُ | لحنُه ثورتُه والضجَّةُ
فكره غُفلٌ ضعيف الأثرِ | قوله فيه صفاءُ الجوهرِ
ليس في تفكيره إلا السؤالْ | أين؟ أنَّى؟ ومتى؟ في كل حال
كل نقشٍ عنده ينطبِعُ | وهو كَلٌّ غيرَه يتَّبع
عينه إمَّا بكفٍّ تُطبَق | تتنزَّى روحه في قلَقِ
فكره في الجوِّ واه حذِرُ | كصُقَير لاصطيادٍ يُخبَر
خلف صيدٍ في حِذَار يُرسلُه | ثم يدعوه إليه يُعجلُه[182]
ثم غشَّاه لهيب الفِكَرِ | فَرَمى خُذروفهُ بالشرر[183]
فتراه عينُه مُسْتعلِنا | فيدقُّ الصَّدر يعني: ها أنا[184]
ومن الذكرى ينمِّي نفسه | غدَه يربط فيه أمسَه
ينظم الأيام خيطُ الذهب | نسَقَ الدُّر بسمط مُعجِب
جسمه يُرمي ويكري قائلا: | «مثل ما كنت أراني ماثلا[185]
أنا» هذي بدء مقصود الحياه | نغمةُ اليقظة في عود الحياه
مثل الأمة حين النشأةِ | مثَل الطفل ضعيف المُنَّة
هي طفلٌ نفسَه لا يعرف | جوهرٌ غشَّى عليه الصدَفُ
يومه بالغد لم يوصل ولا | بصباح ومساء سُلسلا

وبعين الكون إنسانًا يُرى ... كلَّ شيء ما عداه أبصرا[١٨٦]
بعد لأيٍ طرَفُ الخيط بدا ... بعد ما حلَّت يداها العُقدا[١٨٧]
فإذا رازَ قُواها الدهرُ ... يتجلى ذا الشعورُ المضمرُ[١٨٨]
أسطرًا، تمحو، وأخرى تسطُر ... صفحاتٍ بيديها تَزبِرُ
يُبلِس الفردُ إذا ما انتثرا ... عِقْد أيام عليه قُدِّرا
نور قوم من مدادِ السِّيَر ... نفسَه يعرفُها بالذِكَر
أمةٌ قد نسيَت سيرتَها ... ينسخُ الدهر غدًا آيتها
أنت سفْرٌ كتبته السيرةُ ... خَيْطه أيامُك الموصولةُ
ثوبنا أيامُنا في الزمن ... وخِياطُ الثوب حفظُ السنن[١٨٩]
ما ترى يا غِرُّ تاريخ البَشَرْ؟ ... قصةٌ! أسطورةٌ؟ لَهْو سَمَر؟
في سَناه أنت بالنفس بصيرْ ... في هداه أنت بالسير خبيرْ
إنه أعصابُ جسم الأمة ... إنه في الروح مثل الشُّعلةِ
هو يجلوك كسيفٍ مِخذَمِ ... ثم يرمي بك بين الأمم
أيُّ عودٍ ذي فنون تسحَر! ... نغمات الأمس فيه تُؤثَر
خامدُ الشعلة، فيه يُشعَلُ ... يومه للأمس فيه موئِلُ
شمعه كوكب بختِ الأمم ... وسنا اليوم وأمسِ المُظلم
عينُه تُبصر ما قد عبرا ... وترى الماضيَ حيًّا مُحضَرا
وعتيقُ الراح في كاساتِه ... وخُمار الأمس في نَشْواتِه
صائدٌ يَرجعُ في أشراكنا ... طائرًا قد طار من بستاننا
فاذكر التاريخَ واستحكِمْ به ... عِشْ بِأنفاس مضت، في طبِّه
أحكِمَن وُصْلَة يوم وغدِ ... والحياةُ امضِ بها طوعَ اليد
وقُدِ الأيام قَسرًا بمهارْ ... أو فعِش أَعَمى بليل ونهارْ[١٩٠]
صاح! من ماضيك يبدو حالُكا ... ومن الحال بدا استقبالُكا

إن تُرِدْ خُلْدَ حياةٍ فصِلِ
ما مضى بالحال والمستقبَل

في بيان أن بقاء نوع الإنسان بالأمومة وأن حفظ الأمومة واحترامها من أصول الإسلام

نـغـمَـاتُ الـمـرءِ عَـزْفُ الـمـرأةِ　　هـو مـن مـحـنـتـهـا فـي عِـزَّة
كسـت الـذُّكـرانَ ربَّـاتُ الـحـجـالْ　　إنَّ ثوب العشق من نَسج الجَمال[١٩١]
عَـشَـقُ الـحـقِّ رَبَـاهُ حِـجـرُهـا　　ذلـك الـلـحـنُ حـواه صـدرُهـا
الـذي قـدْ بَـهَـر الـكـونَ سَـنـاه　　قرَن الطيبَ إليها والصلاه[١٩٢]
جـهـلَ الـقـرآن جَـهـلًا مُـسـلـمُ　　قـد رآهـا أمَـةً لا تُـعْـظَـمُ
إنـمـا الأمُّ عـلـيـنـا رحـمـةٌ　　وإلـى الـرُّسْـل لـديـهـا نـسـبـةٌ
رأفـةُ الـمـرسَـل فـي رأفـتـهـا　　سِـيَـرُ الأقـوام مِـن صـنـعـتِـهـا
ومـن الأمِّ عَـلَـتْ أقـدارُنـا　　وبـسِـيـمـاهـا بـدا مِـقـدارنـا[١٩٣]
لـفـظـة الأمّـة فـيـهـا نُـكَـتُ　　أتـرى فـكـرك فـيـهـا يَـثـبـت؟
إنـمـا الأمـة مـن وصـل الـرحِـمْ　　دونـه أمـرُ حـيـاة لا يـتـمّ
قال خير الخلق، وهو الحجةُ:　　تـحـت رِجْـل الأمـهَّـات الـجـنَّـةُ
كُشِـفـت بـالأمِّ أسـرارُ الـحـيـاه　　بـخـلال الأمِّ تـسـيـارُ الـحـيـاه
وبـهـا فـي نـهـرنـا يعلـو الـعُـبابْ　　ويـدوم الـمـوج فـيـه والـحَـبـابْ

* * *

هـذه الـغِـرَّة بـنـتُ الـقـريـة　　عَبـلـةُ الـجِـسْـم وغُـفْـل الـسَّـحـنـة
حـيَّـة الـعـيـن، كَـهـامُ الـمِـقْـوَل　　دون تعليم وصقل الصيقل[١٩٤]
أَلَـم الأمِّ عـلـيـهـا يـثـقُـل　　وجـهُـهـا يُـعـربُ عـمـا تَـحـمِـلُ
أمـرنـا يُـحـكَـمُ مـن آلامـهـا　　صبحُنا يشرق من إظلامها[١٩٥]
إن تَـهـبْ مـن حِـجـرهـا لـلأمَّـةِ　　مـسـلـمًـا حـقًّـا عـظـيـم الـنـجـدةِ
والـتـي رقَّـت وخـفَّـت مَـحـمِـلا　　بـاطـنُ الـمـرأة فـيـه عُـطِّـلا[١٩٦]
شعَّ نـور الـغَـرب فـي فـكـرتـهـا　　وتُـرى الـثـورةُ فـي مـقـلـتـهـا
قُـطِّـعـتْ أوصـال هـذي الأمـةِ　　حـين طـاشـت عـيـنُـهـا بـالـنـظـرةِ
إنَّ حـرِّيـتـهـا أصـلُ الـبـلاء　　إن حـرِّيـتَـهـا فـقـدُ الـحـيـاءْ
لـيـلـهـا مـا ضـاء فـي نـجـمـهـا　　لـم يـطـق أعـبـاء أمٍّ عـلـمُـهـا[١٩٧]
لـيـتـهـا لـم تـنـمُ فـي روضـتـنـا　　لـيـتـهـا تُـغـسـلُ مـن حُـلَّـتـنـا

* * *

أنجمُ التوحيد في غيب الأبدْ مضمراتٌ ليس يحصيها عَددْ
لم تُسَيَّبْ بَعْدُ من قَيد العدَم لم تُقيَّد بعدُ في كيفٍ وكمّ
جَلَواتٌ في دجانا تُضمَر في ظلام الكون عنَّا تستَرُ
قطراتٌ لم تَزِنْ زهرَ الرُّبى وزهور لم تفتِّحها الصَّبا
إنما تنبتُ هذه الزهَراتْ ناضراتٍ في رياض الأمهات
أيها العاقلُ! مالُ الأمة ليس مِن عِقيانها والفضَّةِ
إنه أولادها مِلءُ الأمل في ذكاء ونشاطٍ وعَملْ

تحفظ الأمُّ إخاءَ الأمَّة
وقُوى قرآنِنا والمِلَّة

في بيان أن سيدة النساء فاطمة الزهراء أسوة كاملة للنساء المسلمات

أمّ عيسى نسبةٌ واحدةُ بثلاث تَزدهي فاطمةُ:
قرة العين لخير الأوَّلين، خاتم الرُسْل، وخير الآخِرين
نافخُ الروح بدنيا الوَهَنِ خالقُ العصرِ جديد السُّنَن
وهي زوجُ المرتضى ذا البطلِ أسدِ اللهِ الحكيم الفيْصلِ
ملكٌ في الكوخ زهدًا قد أقام كلُّ ما يملك درعٌ وحُسامْ
وهي أمّ السيدين الأكرمَين حسنٍ خير حليم وحُسَين
ذا سراجٌ في ظلام الحرَمِ حافظٌ وحدة خير الأمم
ازدرى الملك ابتغاء الأُلفةِ أطفأ النيرانَ بين الإخوةِ
ذاك في الأبرار ربُّ العَلَمِ أسوةُ الأحرار في الخَطب العَمي
سيرة الأولاد صنعُ الأمَّهات وخِلال الخير طبع الأمَّهاتْ
زهرةٌ في روضة الصدق البتولْ أسوة النسوة في الحقِّ البتولْ
فاقةُ السائل أذرت دمعها ليهودي أباعتْ درعَها[١٩٨]
كل من في الأرض قد طاع لها ورضاها حين تُرضي بعلَها

نُشِّئتْ ما بين صبر ورضَى ... في الفَمِ القرآنُ، والكفِّ الرحَى
دمعها من خشية الله جرى ... في مصلَّاها يفوقُ الجوهرا
لقطَ الروحُ الأمينُ الدُرَرا ... وعلى العرش المعلَّى نثرا
أنا لولا الشرع عن هذا نَهَى ... وإلى شرعِ الرسول المنتهى
طفتُ حول القبر إجلالًا لها
ناثِرًا من سَجَداتي حولها

خطاب إلى المرأة المسلمة

مُشعَلٌ مصباحُنا من ناركِ ... عِرضُنا في الصَّون من أستاركِ
خَلْقُك الطاهرُ فينا رحمةٌ ... قَوِيَ الدينُ به والأمَّة
طفلُنا علَّمِته حين الفِطام ... كلمةَ التوحيد من قَبل الكلامْ
صِيغَ من حُبِّك أطوارٌ لنا ... فِعْلُنا، أقوالنا، أفكارُنا
برقُنا في سُحُب منكِ ثوَى ... شَعَّ في الأطواد، والبيدَ طوَى
ضاء دينُ الحق من أنفاسِكِ ... ونما التوحيد في أحجاركِ
ذلكِ العَصرُ غَرورٌ ماكرُ ... وعلى الأديان باغٍ فاجرُ
عقلُه أعمى وبالله كفَرْ ... كم جهولٍ في شِراكٍ قد أسَرْ
عينُه عينُ وقاحٍ فاتكِ ... بِشباك الهُدب كم من هالكِ!
صيدُه يحسَب حرًّا نفسَه ... مَيْتُه يزعم قصرًا رمسه[١٩٩]
بك يخضرُّ غراس الوحدة ... بك ينمو رأس مال المِلة
لا تسيري غيرَ نهج السلف ... لا تبالي بجدًى أو تَلَفِ
احذري فتنة عصر مُهلكِ ... وإلى صدركِ ضمِّي وُلدَكِ
بَعُدت عن عشها في خطر ... هذه الأفراخ، لمَّا تطِر
فيك تسمو للمعالي فطرةٌ ... فاتبعي الزهراءَ، نعمَ الأسوَةُ
علَّ غصنًا منك يأتي بحُسَيْن
فترى النضرَةَ رَوْضاتٌ ذَوَيْن

خلاصة مطالب المنظومة في تفسير سورة الإخلاص

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾

ظهر الصديقُ لي في الحُلُمِ مُزهِرًا منه ترابُ القدَم
ذا «أمنُّ الناسِ» فينا مَن جَلا طُورُنا منه الكليمَ الأولا[200]
هو ثاني اثنين في الدين وفي صحبة الغار وفي القبر، الوفي[201]
قلتُ: يا صفوة أصحاب الصفاءْ مطلَعَ الديوان من أهل الوفاء!
بك قرَّ الأسُّ في بُنيانِنا فانظرنْ ما الطبُّ من أدوائنا
قال: حتامَ أسيرُ الوَهَمِ سورةُ الإخلاص بُرء السَّقَمِ
نَفسٌ في كل صدر جائلُ وهي للتوحيد سرٌّ هائلُ
فاجلُ هذا السرَّ في كل الفِعالْ ولتكن منه مثالًا للجمال
الذي سمَّاك عبدًا مُسلِمًا بك للوحدة في الدنيا سَما
قلتَ: أفغان، وترك وعَجمْ لم تَزُلْ عما تعودتَ القَدَمْ
طهِّرنَّ الحقَّ من هذي السِّماتْ اقصدِ البحر وخلِّ القَنَواتْ
يا أسيرًا لِسماتٍ ويحكا! قد بعُدتَ اليوم من دَوحتِكا
أبدل الوحدةَ بالتثنيةِ لا تقطِّع صاحِ! حبلَ الوحدةِ
عابدَ الواحدِ! وحِّد واهجرن كل تفريق وللحق ارجعَنْ
أيها المُغفِل معنى الكلِمِ أثبتَنْ في القلب ألفاظَ الفَمِ
أَمةً قطَّعتَها في أممِ وهدمتَ الحصنَ فيه تحتمي
لذةَ الإيمان زدْ بالعملِ
مات إيمان إذا لم يَعملِ

﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾

أُشعِرَنَّ القلبَ «الله الصمد» تخلصَنْ من قيد أسبابٍ وحدّ
ليس عبدُ الله عبدَ السبَبِ ما الحياةُ الحقُّ دورَ اللَولب[202]
ليس غيرَ الله يرجو المسلمُ وهْو للناس جميعًا سَلَمُ

لا تَـبُـثَّـنَّ شَـكـاةً أحَـدًا   لا تـمـدَّن إلـى الـخَـلـق يـدا
بالشعير اقنع، تقيَّل حيدرا   مرحبًا فاقتله، وافتح خيبرا[٢٠٣]
فِـيـمَ لـلأجـواد حَـمـلُ الـمِـنَـنِ   أنت، من لا ونـعَـم فـي حَـزنِ
لا تـرُم رزق لـئـيـمٍ يُـنـغِـص   يـوسفٌ أنت، فـأنَّى تـرخُـصُ؟
إن تكن نملًا وكنتَ المقعَدا   لا تـؤمِّـل مـن سـلـيـمـان جَـدَى
خـفّـف الـزاد، طـريـقٌ وعِـرُ   عش ومت حرًّا، عداك الـغَـرَرُ
اجعلن «أقلِلْ من الدنيا» الشِّعارْ   و«تعش حرًّا» بها كلُّ الفخار[٢٠٤]
وكـن الإكـسـيـرَ لا الـتَّـربَ بـهـا   معطيًا لا سائلا، في حبِّها[٢٠٥]
«بو عليٍّ» ليس مجهولا لديْك   جَرعةً من كأسه أهدي إليك:[٢٠٦]
«تخت قابوس اركلن بالأرجل   ابذل الرأس وبالعرض ابخلِ»
يُـفـتـح الـحـان عَـجـولًا نـفـسَـه   لـفـقـيـر لـم يـدنِّـس كـأسـه

* * *

قـائـدُ الإسـلام هـارون الـرشـيـدْ   مَن سقَى نقفورَ من ماء الحديد[٢٠٧]
قـال: يـا مـالـكُ مـولـى الأمـةِ   أنـت يـا رونـقَ وجـه الـمـلَّـةِ
أنت يا بلبلَ فردوسِ الحديث   إنني أرغب في درسِ الحديث
لِمَ يُخفي ذا العقيقَ اليمنُ؟   اقصدَن بغداد، نعم الوطن[٢٠٨]
حـبـذا زهـرة أيـامِ الـعـراق   حبذا حسنٌ به، الأعينَ راقْ
تـربُـه فـيـه مـن الـسُّـقـم نـجـاه   قـاطـرٌ مـن كـرمـه مـاءُ الـحـيـاه
قـال: إنـي خـادمٌ لـلـمـصـطـفـى   وبـحـسـبـي حـبِّـه، لـي شـرَفـا
أنـا، مـن قُـيّـدتُ فـي حُـبِّـي لـهُ   كـيـف أَنـأى عـن مـكـانٍ حـلَّـهُ
لي في يثرب حبٌّ واشتياق[٢٠٩]   أين من ليلي بها صبحُ العراق؟
وبقول العشق: أمري امتثِلا   لـسـتُ أرضَـى بـمـلـوكٍ خَـوَلا
أنت تبغي أن تُرَى لي سيِّدا   أن تُـرى مـولًـى لـحـرٍّ عُـبَّـدا
ألـتـعـلـيـمـك أغـشـى بـابَـكـا   خـادُم الأمـة لا يـعـنـو لـكـا
إن تَرُم في الدين علمًا يُقتنَى   فاغشيَن حَلْقة درسي ها هنا

* * *

الذي استغنَى جديرٌ بالدلال   فـي دلال عـنـده كـلُّ جـمـال

صبغةَ الحق مَن استغنى اكتَسى ورأى صبغَ سواه دَنَسا
أنت من غيرك تجدو علمكا بطلاء منه تَطلي وجهكا
أنت منه بِشِعار تفخرُ أنت ذا أم غيَّرتك الغِيَر؟[210]
خشعت أرضك من أمطاره وخلا البستان من أزهاره
مطرًا من مزنه لا تجتدي لا تُبِدْ زرعك عمدًا باليدِ
سَلسلت عقلَك أفكارٌ له ملأتْ حلقك أوتارٌ له
مستعارٌ كلمٌ في فمكا مستعارٌ أملٌ في قلبكا
أعوزتْ طيرَك ألحانُ الغناء ليس في سروك في الجوِّ رُواء[211]
أنت في كأسك خمرًا تجتدي وكذلك الكأس جدوى في اليد
لو يعود اليوم فينا ذو النظرْ مَن به تصديقُ «ما زاغ البصر»[212]
مازَ صدقًا وكِذبًا سمعُه وابتلى كلَّ فراش شمعه[213]
نعم نادى «لستَ منى» يا فتى ويلتا يا ويلتا يا ويلتا
فالإم العيشُ مثلَ الأنجم يطلع الصبح لها بالعدَم
أنت قد غرَّك صبح كاذب أنت عن نفسك حقًّا ذاهب
أنت شمس نَفسَك اعرِف كلَّ حين لا تُضئْها من نجوم الآخَرين
إنَّ في قلبك نفسًا من سواك باعَت الإكسيرَ بالترب يداك
بسراج الناس مغناك أضاء وبخمر الناس في الرأس انتشاء
لك حول الشمع في الحفلِ دُوار اغشَيْن نارك، هل في القلب نار[214]
ابقَ في مثواك مثلَ البصر لا تدع عُشَّك مهما تِطر[215]
حَيَّ فردٌ نفسَه قد عَرفا وقبيلٌ عن سواه صَدفا[216]

عن طريق المصطفى لا تذهبَنْ
واترك الأرباب، واللهَ اعبُدَنْ

﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾

قد علا قومكَ عن لونٍ ودَمْ وعلا أسودُه حُمرَ الأمم
في وضوءٍ قطرةٌ من قنبر هي أغلى من دمٍ من قيصرِ

اتــركــن عــمًّــا وأمًّــا وأبًــا وكسلمان إلى الدين انسبا[٢١٧]
يا خليلي اسمع حديثي واعقِلا من خلايا النحل هذا المثلا:
قـطـرةٌ مـن شَـقِـر كـالـقَـبَـس ثم أخرى من بياض النرجسِ
لـم تـقُـل هـذي: أنـا نَـيلَـوْفَـر أو تـقـلْ هـاتـيك إنِّـي عَـبْـهَـرُ
شـأن إبـراهـيـم فـي مـلـتـنـا ديـن إبـراهـيـم فـيـه شـهـدنـا
إن جـعـلـت الـدمَ ركـن الـملَّـة صـدَعـتْ دعـواك جـمـعَ الإخـوة
فـي ثَـرانـا لـيس يـنـمـو بَـزْرُكـا أنـتَ مـا أسـلـم حـقًّـا فـكـركـا
ابـنُ مـسـعـودٍ سـراجُ الـمـتـقـين جسمهُ والروح وَجْد المُخبِتين
أجَّ مـن مـوت أخـيـه صـدره وأذاب الـقـلـب مـنـه جـمـرُه
لـم يـجفَّ الـدمـع مـن حـرقـتـه نـاحَ نَـوْحَ الأم فـي لَـوعـتـهِ:
آهِ لـلـقـارئ درس الـعـظـةِ ورفـيـقـي فـي طـلاب الـحـكـمةِ
آهِ لـلـسَّـروِ الـذي قـد وَرَفـا وشـريـكـي فـي ولاء الـمـصـطـفـى

عـيـنُـه تـحـرَم. إبـصـار الـنـبـيّ
وأنـا أشـهـد أنـوار الـنـبـي[٢١٨]

مـا مـن الأنـسـاب يَـقـوَى وصـلُـنـا لـيـس مـن روم وعُـرب أصـلُـنـا
إنـمـا حـبُّ الـحـجـازيِّ الـحـبـيـب قد حبانا ذاكم الوصلَ القريبْ
حَـسْـبُـنـا آصـرةٌ مـن حُـبِّـهِ حـسـبُ عـيـن نـشـوة فـي قـربـه
جـدَّد الـدهـرُ بـنـا سـيـرتَـه مـذ حـوت أعـراقُـنـا نـشـوتَـه
عـشـقُـه سِـرُّ اجـتـمـاع الأمـة نـبـضَـت مـنـه عـروقُ الـمـلَّـة
صـلـةُ الـعـشـقِ لـنـا أقـوى سَـبـب هو في الروح، وفي الجسم النسب
أيـهـا الـعـاشـق خلِّ الـنـسـبـا خـلِّ إيـران، وخـلِّ الـعَـربـا
نــورُ حــقٍّ مــثــلَــه أمَّــتُــه قـد نـمـت أغـصـانَـنـا دوحـتُـهُ
نـور حـق مـا حـواه نـسـب ثوب حق، لا سَدًى أو لُحمةٌ[٢١٩]

مـن ثـوى فـي نـسـبٍ أو بـلـدِ
قد عَفا عن «لم يلدْ ولم يُولَدِ»

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾

صاحِ! ما المسلمُ للدنيا احتقر عامِرًا بالحق قلبًا قد عمر؟
زَهْرَةٌ من شَقِرٍ في القُنَنِ لم تَرُعها طلعةٌ من مُجتني
نَفسًا ينفخ فيها السَحَرُ فتراها لهبًا يستعرُ
تُشفق الزُّهرُ عليها تحسَبُ أنها خلَّف عنها كوكبُ
الندى منها نُعاسًا يَغسِل وشُعاعُ الشمس فيها قُبَلُ
(لم يكن) أمسِكْ بها واشدُد يدا لتُرى في الناس حُرًّا أوحَدا
ذلك الواحد لا شِركَ له عبده يأبى شريكًا مثله
قد سما المسلم أعلَى مَن سَما ليس يرضى بمُسامٍ في السَما
وِردُه «لا تحزنوا» في المأزِق «أنتم الأعلَون» تاجُ المَفرِق
حملَ الكونين طرًّا ظَهرُه وحوى برًّا وبحرًا صدرُه
أذْنُه للرعد إمَّا جَلجلا صدره للبرق إما نزلا
قاتِلُ الزُّور، وللحقِّ وَزَرْ أمرُه المعيار في خير وشرّ
جمرُه كلُّ لهيبٍ في حشاه جوهرٌ فيه كمال للحياه
ليس في ضوضاء هذي الأمم نغمةٌ إلا أذانَ المُسلمِ
هو في العفو وفي البذل عظيمْ وهو حين القَهر ذو طبع كريم
لُطفُه في الحَفلِ جبر المنكسِرْ قهره في الحرب صهرٌ للحجَر
هو في الروض صفيرُ البُلبلِ وهْو في البِيد انقضاض الأجدل
قلبه تحت سَماءٍ لا يقرّ هو فوق الزُهْرِ ما إن يستقرّ
طائرٌ ينقُر نجمَ الحُبُكِ طائرًا فيما وراء الفلكِ
أنتَ، يا مَن لم يَطِرْ منك جَناحْ! دودةٌ في ظلمةِ التُّرب تُراح
مستكينٌ تشتكي جور الزَّمانْ قد أصبتَ الذل من هَجر القُران[٢٢٠]
قد هبطت الأرض طُهرًا كالندى بالكتاب الحيِّ أمسكت يدا
فإلام العيش في التُّرب؟ ارحلا
اصعدَنْ فوق السَماواتِ العُلَا

شكوى المصنف إلى من أرسل رحمةً للعالمين

نضرتْ منك مُحيَّاها الحياه ورأت تعبير رؤياها الحياه
الجهاتُ الست نورٌ يَسطع منك، والأقوام جمعًا تَبعُ
إنَّ فقرًا فيك ذخر الكائنات قد تعالى بك قدرُ الكائنات[٢٢١]
أنت أشعلت مصابيح الحياه وحبوتَ الناس من رقٍّ نجاه
صُوَر الكون بدت من دونكا فاقةً تشكو وتشكو الحَلَكا
نفسٌ منك أطار الشَرَرا فاستحال الطين منه بشرا[٢٢٢]
وسمت للنيرين الذرَّة وتجلَّت من حَشاها القوَّة
مِن أبي أنت وأمي أقرب مذ رأى وجهَك طَرفي المعجَبُ
عشقُك النارَ بجسمي يُضرِم فليُذِبْ روحيَ منه ضَرَمُ
ومتاعي أنَّةٌ مثلَ الربابْ إنها المصباح في بيتي الخراب
كيف لا يُبدي شَجِ أتراحَه؟ كيف لا يُبدي زجاجٌ راحه؟
ضلَّ عن سرِّ النبيِّ المسلمُ موثِنًا قد صار هذا الحرَم[٢٢٣]
كلُّهم في قلبه يثوى هُبَلْ ومَناةٌ فيه والعُزَّى تحُل
شيخنا يفضله البرْهَمَنُ سُمناتٌ رأسَه يستوطنُ[٢٢٤]
هجر العُربَ، وفي العُرْبِ عِصَمْ وأطال النوم في حانِ العجم
فتَّ بَرد العُجمِ في أعضائه دمعُه أبردُ من صهبائه
هو، كالكافر، يَخشى الأجلا صدره من قلب حيٍّ قد خلا
داؤه كلُّ طبيب ما شفا فحملت النَعش عند المصطفى
هالگا عرَّفته ماء الحياه ومن القرآن أسرار النجاه
قلت عن أحباب نجدٍ قِصَّتي حَدثتْ عن رَوض نجدٍ نفحتي
فأضاء الحفلَ من لحني أَياه ودَرى قوميَ أسرار الحياه[٢٢٥]

* * *

قيلَ: أهدى سحر أورُبَّا لنا وبقانون الفرنج افتتنا[٢٢٦]
واهبي عودَ سُلَيمي كرَما والأبوصيريَّ بُردًا كرُما[٢٢٧]
اهدِ للحق، الذي قد أفَكا الذي يجهل ما قد ملكا[٢٢٨]
إن يكن قلبي غَوَى لا يُبصرُ أو سوى القرآن لفظي يُضمرُ

أنت يا من نورُه صبحُ العصور   أنت يا عالم أسرار الصدور
اهتكنْ أستار فكري وافضحنْ   طهِّرن من شوكتي روضَ الزمن
وحياتي اقطع لأجل الأمةِ   واكفيَنْ شرِّي أهلَ الملةِ
أبعِدنْ عن روضتي الغيث المَريع   واحرمَنِّي من شآبيب الربيع
جفِّف الراح بكرمي عاجلا   واملأن راحِيَ سمًّا قاتلا
واخزِيَنِّي يوم حشر الأمم   واحرمنِّي منك لثمَ القدَم
أو أكن أخلصت نصحي في البيان   ونظمت الدَّر من سرِّ القُرانِ
فدعاءٌ منك أجري وكفى   بك كم نال وضيعٌ شرَفا
اسألنَّ الله رب العرش لي   يجعلَن عشقي قرينَ العمل
ربِّ قد أنعمتَ بالروح الحزين   ونصيبًا شئتَ لي من علم دين
فاجعلَنْ في الفعل حظِّي أوفرا   واجعلن قَطرَ ربيعي دُررا

* * *

أملٌ آخر في القلب أقام   مذ حوى قلبيَ في الدنيا مُقام
هو في صدري كقلبي نزلا   شاهدًا صبحَ حياتي الأوّلا
أملٌ أذكيتُ منه لهبي   مذ شدا باسمك أمي وأبي
كلما غيَّض منِّي الزمنُ   ودهاني ريبُه والمِحنُ
شبَّ في قلبيَ هذا الأملُ   ونما بالعتق فيه الثَمَل[٢٢٩]
إنّه تحت ترابي جَوهرُ   كوكبٌ في جنح ليلي يُسفِر

* * *

همتُ حينًا بذواتِ الحوَر   وتعشقتُ ذواتِ الطُرَرِ
وعلى الراح صحبت الغانيه   حين أطفأتُ سراج العافيه
وأحاطت بَيْدري نارُ البُروقْ   وغزا قلبيَ قُطَّاع الطريقْ
وبروحي لم يزَل هذا العُقار   وبكيسي لم يزَل هذا النُّضَارْ

* * *

لبس الزُنَّارَ عقلي الآزَريّ   وغزا روحي بالنقش الفريّ[٢٣٠]
في إسار الشك أمضيت سنينْ   وهو في رأسي مقيمٌ لا يَبين

أحرُفًا ما نلتُ من عِلم اليقينْ ومن الحكمة في الريب رهين[٢٣١]
لم يَلُح في ليل عُمري نورُ حقّ لم يُنِره ليلي شعاعٌ من شفَقْ
وفؤادي مُضمِرٌ هذا الرجاءْ صدَفٌ في قلبه دُرٌّ أضاء
ثم من عينيَّ دمعًا سَجَما وتجلَّى في فؤادي نغما[٢٣٢]

* * *

يا مَن القلب سِواه أغفلا! ائذنَنْ أذكر هذا الأملا
سيرتِي ما ضاء فيها العملُ كيف مثلي مثلَ هذا يأمُلُ؟
أنا من إظهاره في خجَلِ منك لُطفٌ يسر الجُرأة لي
يا رحيمًا بك للناس مفازْ! كلُّ ما أبغيه موتي في الحجاز[٢٣٣]
هَجْرُ غير الله شأنُ المسلمِ كيف لي عيشٌ ببيت الصنم؟
حسرة المسلم إن حُمَّ الممات أن يكون الدَّير مثوى للرفات[٢٣٤]
ويل يومي، وهنيئًا لغدِي إن أقُمْ في ذا الحِمَى من لَحَدي
حبذا أرض تراها موطنا! حبذا تُربٌ تراه مسكنا!
دارِ حِبِّي ومليكي والسَكن أيها العشاق! ذا نعم الوطن[٢٣٥]
كوكبي أطلِعْه بالسعد غدا في ظلال الدار هب لي مرقدا
ليرى الراحةَ قلبي القلِقُ ويرى الهدأة هذا الزئبقُ

أيها الدهر انظرَنْ هذا السلام
قد رأيت البدء فانظر ما الختامْ

كان الفراغ من تبيض الترجمة وتحريرها، وتنقيحها وتحبيرها أصيل يوم السبت الحادي عشر من شعبان سنة خمس وسبعين وثلاثمائة وألف من الهجرة (الرابع والعشرين من آذار سنة خمس وخمسين وتسعمائة وألف من الميلاد) بدار السفارة المصرية بمدينة جدة.

والحمد لله أولًا وآخرًا.

هوامش

(١) ترجمة بيت لعرفي الشيرازي صدر به الشاعر هذه التقدمة، ومعناه: لا يستطيع أحد إنكار ما أصف من آلام عشقي، فإنه إن شعر بالآلام التي أصفها فهذه الآلام لا تكون بي، ولكن به هو، إنني أصف شيئًا لا يمكن أن يكون في قلب غيري، فكيف يستطيع إنكاره.

(٢) يعني: أهل أوروبا الذين سيطروا على الهند وغيرها حقبة.

(٣) الأفلاك من الهبوة التي أثرتها في جهادك على الأرض.

(٤) الشطران بين الأقواس بيت للشيخ سعدي الشيرازي.

(٥) يعني: أن الشعراء الآخرين فتنوا بذكر الحان وغلمان المجوس، وهؤلاء في الشعر الفارسي كغلمان النصارى في الشعر العربي يقرن ذكرهم باللهو والسكر، إذ كانوا خدم الحانات.

(٦) مرآة اسكندر مشهورة في الشعر الفارسي، يقال: إنه كان يرى فيها الأقاليم ولعل أصل الخرافة منارة الإسكندرية ومراياها، ويقول الشاعر هنا: إن في شعري مرايا كمرآة إسكندر، فلست في حاجة إليها.

(٧) يعني: أنه لا يجني الزهر في حجره، بل يستكبر أن يجنيه استغناء عنه.

(٨) حذف بعد هذا بيتان.

(٩) الربيع النهر الصغير.

(١٠) محبوبنا الرسول ﷺ.

(١١) يتخيل الشعراء أن الورد يمزق صدره حين يتفتح، ويقول الشاعر: إن العشق صاغ قلبه مرآة وهو يشق صدره، فيضع هذه المرآة أمام الأمة الإسلامية لترى فيها حقيقتها.

(١٢) أي لتُقدري جمالك، وتدركي مزاياك، وتحبي نفسك.

(١٣) الشقيق: زهر أحمر يجعله الشعراء مثلًا للاحتراق، ويقول إقبال: ما هذا الاحتراق الذي هو لون لا حقيقة له، ولماذا أستجدي الندى من الفجر كالشقيق وغيره من الزهر، أنا أحترق بناري كالشمع، وأتخذ من دمعي ندى.

(١٤) أيامه كلها عمل وجهد ليس فيها يوم راحة.

(١٥) روحه آهة والجسد تراب يسترها كما يتردى الإعصار بالغبار.

(١٦) تجعل العصف — وهو الهشيم — ضعيف اللهب، نارًا قوية تحرق غيرها، وتخلق من التراب فراشًا هائمًا يهفو على النار.

(١٧) نهر المجرة.

(١٨) قيمة الأفراد من فضل الأمة عليها.

(١٩) كثرة الأمة لا تضر بوحدة الفرد بل تحكمها، والكثرة فيها موحدة بوحدة الفرد، ورأى إقبال أن غاية الجماعة تقوية الفرد وإسعاده وهو لا يفنى فيها.

(٢٠) الفرد في الجماعة كلفظ في بيت من الشعر، إن فصلت اللفظ من البيت اختل البيت، وتعطل معنى اللفظ.

(٢١) تقيد الفرد بقيود الجماعة لا يعبده بل يحرره، وثباته في الجماعة ينميه مثل الشجرة تثبتها في الطين فتنمو، وإن لم تثبت في الأرض لم تنم.

(٢٢) الوهق: حبل فيه آخية يصطاد به، يعني أن قيد النظام للإنسان يمنع وثوبه ولكن يكمله ويطيبه.

(٢٣) أثبت خودي، ومعناها الذاتية، وبيخودي أي نفي الذاتية على لفظهما في الأصل، يعني الشاعر أن الإنسان إن لم يميز مواضع الذاتية من مواضع نفيها اشتبه عليه أمره، وهذا أساس فلسفة إقبال، انظر المقدمة.

(٢٤) يعني الذاتية.

(٢٥) وجودك منه ووجودي منه، وهو مع هذا فرد لا يثنى.

(٢٦) هذا النور الذي يسميه الذاتية يصنع نفسه ويثبتها ويفرقها، وله دلال يظهر في صورة خضوع، يعني أنه غالب وكأنه مغلوب.

(٢٧) شرر صغير ولكنه كبير في معناه يقوى على الشعلة الكبيرة.

(٢٨) يظهر من خلوته: أي يبدو في الكون فيثير حربًا هي جهاد الحياة الدائم.

(٢٩) الجبر والإكراه يقطع عليه الطريق وهو بالحب والاختيار ينمو ويعظم.

(٣٠) تفرق الذات نفسها فتنمو من زهرتها روضة أي تعظم وتكثر بهذا التفريق.

(٣١) هذا الشطر من المثنوي لجلال الدين الرومي.

(٣٢) مذهب إقبال: أن غاية الجماعة سعادة الفرد، وأن الفرد لا يفنى من أجل الجماعة.

(٣٣) المضرب ما يضرب به أوتار العود.

(٣٤) يعني ليس عنده نشوة العمل والإقدام.

(٣٥) النجم النبت الذي لا ساق له.

(٣٦) أي تغيرت قيم الأشياء بما أتى به من مقاييس جديدة.

(٣٧) كلامه ونظره يجذب البعيد إليه حتى يصيرا كنفس واحدة.

(٣٨) يهب الناس نظرًا جديدًا فيرون الأشياء على غير ما رأوها قبلًا، فرب حسن يصير قبيحًا، وقبيح يصير حسنًا.

(٣٩) ترى الذرة على ضآلتها طور سيناء، الذرة لا ترى إلا في نور الشمس، ولكن هذا الرسول الذي يتحدث عنه الشاعر يحيي الموات وينير الظلم فترى الذرة طور سيناء.

(٤٠) العقل عريان مفلس حتى يمده الرسول فيكسوه ويغنيه أي هو يهدي العقل ويقويه.

(٤١) يشعل العقل، ويميز له الخبيث من الطيب.

(٤٢) الناس يعبدون الصنم ويستعبدون الإنسان، فيقول الرسول للإنسان لست عبدًا، ولست قدرًا من الأصنام.

(٤٣) يقيده بالشريعة ليجذبه إلى المقصود ويعلمه توحيد الله وأدب الطاعة، فترى الإنسان حرًّا من عبادة الكبراء مقيدًا بالشرع.

(٤٤) إشارة إلى الآية في سورة مريم: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾.

(٤٥) كأس جشيد التي ترى فيها الأقاليم السبع، أي: إن صدقت النية في مقام العبودية لله وحده ينقلب السائل ملكًا، ووعاؤه الذي يجتدي فيه يصير كأس جشيد.

(٤٦) تقدم أن «لا إله» اختصار كلمة التوحيد.

(٤٧) الفكر وحده لا يجدي ولا بد له من حرقة الإيمان.

(٤٨) إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾.

(٤٩) أمتنا مؤسسة على العقيدة لا على الأرض، فقلوبنا ليست رهن الحس، بل هي متصلة بالغيب، أي بالمعاني التي لا تحدها الأوطان.

(٥٠) نظامنا قائم غير مرئي، كالبصر لا تدركه الأبصار.

(٥١) الرئى المظهر.

(٥٢) مأخوذ مما جاء في الأثر من تسمية الخمر أم الخبائث.

(٥٣) مقتبس من القرآن: ﴿لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللهِ﴾.

(٥٤) رجاء يوصل دائم لا ينقطع.

(٥٥) الوند جبل عال مشرف على مدينة همذان، يعني: إن تكن كجبل الوند ففي اليأس مصرعك.

(٥٦) الضمير لليأس في أكنافه تشب الخيبة، وبفضله ينمو العجز.

(٥٧) الكحل يجلو البصر، ولكن كحل اليأس يعمي ويجعل النور ظلامًا.

(٥٨) إشارة إلى ما حكى القرآن الكريم من قول الرسول لأبي بكر في الغار: ﴿لا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا﴾.

(٥٩) إشارة إلى الآية: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

(٦٠) إشارة إلى قصة موسى وفرعون وقول الخالق عن موسى: ﴿قُلْنَا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الأَعْلَى﴾ وفرعون هنا نكرة، ولهذا لحقه التنوين.

(٦١) لا يؤدي دية من قتله.

(٦٢) عين: جاسوس، والميم في خط الرقعة والخط الفارسي مصمتة، فجعل الشاعر الخوف مظلم القلب مثل ميم الموت. وفي الأصل ميم مرك، ومرك: موت، فالميم في الأصل والترجمة.

(٦٣) تشوه مظاهر الحياة عينه، وتحرف أخبار الحياة أذنه.

(٦٤) ذو الفقار: سيف علي بن أبي طالب — رضي الله عنه.

(٦٥) في الأصل وعلى الشام نثرت الشفقا، وشام في الفارسية بمعنى الليل، فالكلمة تورية معناها القريب بلاد الشام.

(٦٦) محيي الدين عالمكير، الملقب أورنك زيب، أحد عظماء الملوك من دولة المغول في الهند، وكان حريصًا على نشر الإسلام في الهند ملتزمًا حدود الشرع، ملك من سنة ١٠٩٩ إلى سنة ١١٤٨هـ.

(٦٧) أكبر هو جلال الدين أكبر من أعظم سلاطين المغول ملك خمسين سنة، وحاول أن يجمع بين الإسلام والأديان الأخرى في دين سماه الدين الإلهي، وكان يتقرب إلى الهنادك ويرعى شعائرهم، ودارا أخو عالمكير المذكور هنا.

(٦٨) شاهجهان بنى تاج محل لزوجه، فلما ولى عالمكير لم يبن لأبيه مزارًا، بل دفنه بجانب زوجه في تاج محل، ثم بنى لنفسه قبرًا صغيرًا ساذجًا.

(٦٩) زينة العرش لقب هذا السلطان (أورنك زيب).

(٧٠) توهم الليث صورة ليث.

(٧١) ثم دعا الوجد إلى الصلاة مرة أخرى.

(٧٢) العبد لدى مولاه يفنى ولكن يثبت في جهاد الباطل، واللفظان العربيان لا ونعم في الأصل.

(٧٣) الألف في حصلا نون التوكيد الخفيفة، والمعنى: ليكن لك قلبه، ولتعد هذا القلب للحبيب «الحق».

(٧٤) إشارة إلى الآية: ﴿وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾.

(٧٥) إشارة إلى دعاء إبراهيم وإسماعيل: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.

(٧٦) إشارة إلى الآية: ﴿اللهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾.

(٧٧) بطحاء مكة.

(٧٨) إشارة إلى بيت البردة:

أحـل أمـتـه فـي حـرز مـلـتـه   كالليث حل مع الأشبال في أجم

(٧٩) الكثرة المؤتلفة هي في الحقيقة وحدة لا كثرة، وإذا ائتلفت الكثرة فاتحدت نشأت الأمة.

(٨٠) في حاشية الأصل بيت من البردة:

لما دعا الله داعينا لطاعته   بأكرم الرسل كنا أكرم الأمم

(٨١) لا نبي بعدي فضل من الله على هذه الأمة، ومكافة الإسلام من هذا.

(٨٢) برويز ملك عظيم من ملوك الفرس، وفرهاد مهندس فارسيٌّ له مع برويز وجاريته شيرين قصة رائعة في الأدب الفارسي.

(٨٣) المدنية الحاضرة من آثار البعثة الإسلامية، فهذا العصر جاء إلى الوجود في حجرها.

(٨٤) إشارة إلى الآية: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾.

(٨٥) إشارة إلى الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾.

(٨٦) أبو عبيدة الثقفي أحد قواد المسلمين في فتح العراق، وجابان قائد فارسيٌّ.

(٨٧) بو عبيد هكذا جاءت في الأصل، واقتضى الوزن وذكر الاسم إبقاءها كما جاءت.

(٨٨) الحيدر: علي بن أبي طالب وقنبر خادمه، يعني أن نغمة ينطق بها بلال أو قنبر هي نغمة علي وأبي ذر، سواء فيها الكبير والصغير والسيد والمولى.

(٨٩) مراد أحد أمراء خوقند أو خجند في تركستان في القرن الثالث عشر الهجري.

(٩٠) فرهاد مهندس له قصة معروفة في الأدب الفارسي والأساطير مع الملك برويز.

(٩١) اقطع يد السلطان قصاصًا.

(٩٢) شمر كمه استعدادًا لقطع يده.

(٩٣) آية: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾، القطع عدل والعفو إحسان.

(٩٤) حذف قبل هذا أبيات فيها حديث وقعة كربلاء.

(٩٥) كعب بن زهير الذي مدح الرسول بالقصيدة المعروفة: بانت سعاد فقلبي اليوم مبتول.

(٩٦) إشارة إلى البيت:

إن الرسول لسيف يستضاء به ··· مهند من سيوف الهند مسلول

(٩٧) إشارة إلى الحديث: «حبب إليَّ من دنياكم ثلاث ... إلخ»، لم يقل الرسول: «من دنياي أو دنيانا»، بل قال: «دنياكم».

(٩٨) سكن الإنسان من يسكن إليه من أهل أو صديق.

(٩٩) لا يتيه في عالم العلل والمقادير.

(١٠٠) يقول إقبال في ديوان ضرب الكليم:

إنما الكافر حيرا ··· ن له الآفاق تيه
وأرى المؤمن كونًا ··· تاهت الآفاق فيه

يعني أن المؤمن المجاهد لا تعوقه ولا تحيره عقبات هذا العالم، بل يسخرها كما يشاء.

(١٠١) الإمام الأعظم رسول الله.

(١٠٢) في القرآن الكريم: ﴿قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾، فالهجرة ترك المكان الذي يعسر فيه العمل إلى المكان الذي يتيسر فيه أداء الواجب.

(١٠٣) اقتباس من القرآن جاء في الأصل.

(١٠٤) الفلورنسي مكيافلي، مؤلف كتاب الأمير الذي أحل للملوك كل وسيلة تبلغ بهم الغاية.

(١٠٥) الصنم: الملك.

(١٠٦) الريح: الرائحة.

(١٠٧) تذهب طير وتجيء أخرى، وتسير الرائحة، وينزل الندى، فالروضة باقية على تبدل ما فيها.

(١٠٨) موسم الزهر أبقى آحاد الزهر، فالزهرة تذبل والموسم يدوم.

(١٠٩) الآماس: جمع أمس.

(١١٠) يسفر: يسافر.

(١١١) إشارة إلى الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ﴾ و﴿قَالُوا بَلَى﴾، يعني أنها قائمة على عقيدة أزلية عامة خالدة فهي دائمة بدوام هذه العقيدة.

(١١٢) إشارة إلى الآية: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

(١١٣) المعنى إن كان الذكر محفوظًا فلا بد أن يدوم الذاكر فلا ذكر بدون ذاكر.

(١١٤) الآية: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾.

(١١٥) إلى الحق تنيب: الحق هنا الله تعالى.

(١١٦) إبراهيم الخليل، كان يأمل أن تخرج من ذريته أمة موحدة فانجلت آماله عن هذه الأمة.

(١١٧) إشارة إلى الآية: ﴿وَيُعَلِّمُكُمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾.

(١١٨) يعني كانت نار التتر علينا بردًا وسلامًا، بل كانت روضة لنا كما كانت النار لإبراهيم.

(١١٩) ساسان الذي تنسب إليه دولة الفرس الساسانية التي سيطرت من القرن الثالث الميلاد حتى ظهور الإسلام.

(١٢٠) يعني أن الأمة الإسلامية تبقى بما في قلوبها من الوجد والهيام والإقدام على العمل وهذا العشق حياة للعالم.

(١٢١) إن كنا في ضيق وغم منطوين ككم الزهرة فحياة هذه الروضة، هذا العالم، رهن بحياتنا إن متنا ماتت.

(١٢٢) زهر السراج أضاء.

(١٢٣) إشارة إلى الآية: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللهِ﴾.

(١٢٤) سكن اضطرابه واطمأن، موجه الثائر سكن واستقر كالدرة في الماء.

(١٢٥) جم: جمشيد أحد ملوك الفرس القدماء.

(١٢٦) الهبوة: الغبار الذي يثور في الحرب أو سير الأرجل الكثيرة ونحوها.

(١٢٧) إشارة إلى الآيتين: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا﴾ و﴿يَدْعُ الدَّاعِي إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ﴾.

(١٢٨) القوال منشد القصائد الدينية وهو معروف بهذا الاسم في إيران والهند.

(١٢٩) العراقي شاعر صوفي فارسي.

(١٣٠) يعني أنه يأخذ مالًا من الفقراء المقيمين في الأربطة.

(١٣١) الديلمي والخطيب من رواة الحديث الضعفاء، والضعيف والغريب من أنواع الحديث، يعني الشاعر أنهم تتبعوا المحدثين غير الثقات والأحاديث غير الصحيحة يستدلون على أقوالهم وأفعالهم.

(١٣٢) يعني يجب الاستمساك بسنن الآباء حتى تعود الأمة سيرتها، كما ينتظر صاحب الشجر أيام الخريف إيراقه وإثماره في الربيع ولا يقطعه أو يهمله.

(١٣٣) إن قل الماء في نهرك فاحتفظ بالنهر عسى أن تأتيه السيول بالماء فيزخر مرة أخرى.

(١٣٤) كلمتا نباض ومقراض في الأصل.

(١٣٥) مرقاة اليقين ومقامات اليقين في الأصل بلفظهما العربي.

(١٣٦) في الأصل جبل ألوند، واستبدلت به رضوى في الترجمة.

(١٣٧) الشيخ أحمد الرفاعي.

(١٣٨) وقعت هذه القصة في سيالكوت بلد إقبال وقصها على الناس كثيرًا، ومبرم في آخر البيت بمعنى ممل.

(١٣٩) قشب: جمع وكسب.

(١٤٠) يعني دمعت عينه، علق الدمع بأهدابه ثم سقط.

(١٤١) هذا قول النبي لوالد إقبال في المحشر.

(١٤٢) جلال الدين الرومي، وما بين القوسين من ديوانه المثنوي.

(١٤٣) أغرد: أطرب بالتغريد.

(١٤٤) الصقر يعيش في الصحراء، والبلبل بين الأشجار؛ فليلزم كل بيئته.

(١٤٥) مطر شهر نيسان الذي ينشأ منه اللؤلؤ في ظن القدماء.

(١٤٦) متصل بالبيت الذي قبله، أي انشف الماء بشعاع الصبح.

(١٤٧) الأوصاف في هذا البيت وما بعده أوصاف الحياة.

(١٤٨) نار الحياة تخفي حرها، وتظهر أعراضها في مظاهرها، ومثل الشاعر بأزهار الشقيق التي جعلها الشعراء مثلا للالتهاب.

(١٤٩) الحياة حركة دائمة يتوهمها الإنسان ثابتة، يقول إقبال: الفكر العاجز عن إدراك الحياة يرى جسمًا يسميه وردًا، وليس هو في الحق إلا لونًا في طيران مستمر.

(١٥٠) الطير: الطيران، والحياة طيران ولون طائر، لا ثبات لها ولا تستقر في عش.

(١٥١) الحياة مقيدة بأشكال وهي في الحقيقة لا تحويها هذه الأشكال، ونوحها وغناؤها متصلان.

(١٥٢) تضع نفسها في الطين — تزرع وتغرس — لا لتسكن فيه بل تزيد إسراعًا في سيرها.

(١٥٣) الحياة تلبس الطين فتراها حيوانًا له عين إلخ.

(١٥٤) العم: الجماعة الكثيرة.

(١٥٥) تولد الأمة حين تجمع الحياة في مركز معين في شريعة أو قانون أو مقصد.

(١٥٦) الخليل إبراهيم، نحن الدليل على صدق ما يدعي للحرم من أنه يجمع الناس، ويكون مركز الأمة، ونحن برهان على تحقيق ما أمله الخليل في الحرم.

(١٥٧) في حساب الحرم كثرتنا وحدة، وبهذه الوحدة تستحكم قوتنا.

(١٥٨) حذفت هنا أبيات في وصف اليهود.

(١٥٩) السجود الأولى جمع ساجد.

(١٦٠) المطلع هنا مطلع القصيدة.

(١٦١) اعتقد المال: اقتناه، إذا عرف الإنسان مقصده نقد به الأشياء فرد بعضها وأخذ بعضها.

(١٦٢) يذكر أمثلة من المقاصد: الساحل للسائر في البحر، والمنزل للسائر في البر، والاحتراق للفراش، وليلى لقيس.

(١٦٣) يتبين للعمل كيفه وكمه من مقصوده.

(١٦٤) الشقر: الشقائق؛ والضمير يعود إلى المقصود الحياة تستعريه، وتجمع في نفسها نارًا كما تجمع الشقائق النار، في خيال الشعراء.

(١٦٥) يجمع الأعين المختلفة على نظر واحد.

(١٦٦) القمي: ملك القمي الشاعر، والإشارة إلى بيت له معناه. «ذهبت لأنقش الشوك من قدمي فاختفى المحمل عن عيني، غفلت لحظة فبعدت طريقي مائة سنة».

(١٦٧) امتزاج الأمهات اختلاط العناصر، والتركيب بلفظه العربي في الأصل.

(١٦٨) هذا البيت والذي قبله بيت واحد في الأصل، والمعنى: أن التكمل في العالم شاق أليم، ينبت غابات من أجل نغمة ناي، ويخرب روضات من أجل زهرة، وقد تقدم هذا أول الكتاب.

(١٦٩) تعالى: تتعالى.

(١٧٠) السنبل: نبت طيب الرائحة.

(١٧١) فيها: في الدنيا.

(١٧٢) إشارة إلى الآية: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾.

(١٧٣) إشارة إلى الآيات: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى﴾.

(١٧٤) يعبد الناس في هذا العصر عصبية الأنساب والأوطان فيسفكون الدماء.

(١٧٥) إشارة إلى الآية: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾.

(١٧٦) في الأبيات المتقدمة دعوة إلى تسخير عالم الحس، وبيان أن هذا التسخير يؤدي إلى معرفة عالم الغيب.

(١٧٧) يعني: أن الإنسان خليفة الله في الأرض بالحق، وحكمه فيها نافذ.

(١٧٨) استخرج الكهرباء من سيل الماء.

(١٧٩) إشارة إلى الآية: ﴿قُلْ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾.

(١٨٠) إشارة إلى آلات البرق، والهاتف ونحوها.

(١٨١) إشارة إلى الآية: ﴿وَعَلَّمَ آدمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾.

(١٨٢) كالصقر الصغير الذي يعلم الصيد، يتلطف صاحبه في إطلاقه وراء الصيد ودعوته إلى الرجوع.

(١٨٣) ثم يعلق التفكير به فيرمي فكره بشرر، كما تدار جمرة النار في خذروف فيتطاير منها الشرر، وفي الأصل «زرجك» وهي لعبة يديرها الصبيان، يتطاير منها الشرر، والخذروف قرص يدار بخيط فيسمع له دويّ.

(١٨٤) يدرك الطفل نفسه فيعنى بها، ويقول: ها أنا، وكان يرى غيره لا نفسه.

(١٨٥) يرمي ويكري يزيد وينقص، يشعر الإنسان بأنه مع تغير جسمه لا تتغير ذاته.

(١٨٦) هي في الكون كإنسان العين يرى كل شيء إلا نفسه، فهي تقلد وتتبع ولا تعتمد على نفسها.

(١٨٧) تكون كالذي معه خيط معقد يحل عقده حتى يجد طرف الخيط فيمكنه الانتفاع به.

(١٨٨) راز الإنسان الشيء حاول رفعه ليعرف ثقله.

(١٨٩) الخِيَاط: الإبرة.

(١٩٠) المهار: الزمام.

(١٩١) إكبار الرجل المرأة وحبها يدعوانه إلى الإقدام والعمل، وكذلك تهديه المرأة وتلهمه.

(١٩٢) إشارة إلى الأثر: حبب إلي من دنياكم ثلاث: الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة.

(١٩٣) المقدار هنا القدر، أي مستقبل الناس مكتوب في سيما الأم.

(١٩٤) كهام المقول: عيبة اللسان، عينها خفرة ولسانها قليل الكلام.

(١٩٥) تعاني الظلام في أيامها ليشرق صبحنا، أي: نسعد بشقائها.

(١٩٦) صدفت عن الحمل والوضع.

(١٩٧) لم يضئ في ليلها نجم: لم يولد لها ولد.

(١٩٨) أباع: عرض للبيع، أي عرضت درعها للبيع لتعطي سائلا.

(١٩٩) الأسير في أغلال هذا العصر يظن نفسه حرًّا، والميت يحسب رمسه قصرًا، لا يدري هذا أو ذاك ما هو فيه من عبودية أو هلاك.

(٢٠٠) إشارة إلى الحديث: «أمن الناس على صحبته وماله أبو بكر».

(٢٠١) كان ثاني الرسول في الدخول في الإسلام وفي الغار، وفي القبر إذا كان أول من دفن بجانبه.

(٢٠٢) إن أخلص الإنسان لله وتوكل عليه لا يقيده ما يقيد الناس من أسباب بل يخلق هو وسائله إلى غايته وليست الحياة دورات آلية بل فيها إرادة الإنسان وعزيمته.

(٢٠٣) مرحب: أحد رؤساء اليهود في خيبر، قتله علي — رضي الله عنه — تقيل حيدرًا: تشبه بعلي.

(٢٠٤) إشارة إلى ما يروى عن عمر — رضي الله عنه: «أقلل من الدنيا تعش حرًّا».

(٢٠٥) الضمير يرجع إلى الدنيا.

(٢٠٦) أبو علي قلندر أحد كبار الصوفية في الهند وتقدم ذكره وما بين القوسين شعره.

(٢٠٧) نقفور أحد ملوك البيزنطيين حاربه الرشيد فهزمه.

(٢٠٨) اليمن من مواطن العقيق، يعني: لماذا يبقى مالك في الحجاز كما يبقى العقيق في معدنه.

(٢٠٩) في الأصل: أنا حي بتقبيل تراب المدينة، وقد خفقت العبارة في الترجمة.

(٢١٠) هل أنت أيها المسلم كما عهدتك، أم أنت إنسان آخر.

(٢١١) السرو: شجر طويل شكله كالسنبلة دائم الخضرة، جميل التمايل، يقول الشاعر: إن طيرنا لا يستطيع الغناء كالطير، وسرونا ليس له رواء كالسرو.

(٢١٢) إشارة إلى الآية: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾.

(٢١٣) لو عاد الرسول ﷺ لميز الصادق والكاذب، وعرف شمعه الفراش الذي يهفو إليه حبًّا.

(٢١٤) هنا يقول الشاعر: لا تكن فراشًا يهفو على نار غيره، بل اصطل نارك إن تكن في قلبك نار.

(٢١٥) مذهب إقبال أن يثبت الإنسان في نفسه، يبعد السير، ولكن لا يخرج من منهاجه، فليكن كالبصر يتقلب في العالم وهو مكانه، وكالطائر يحلق في الجو ولا ينسى عشه، يعني: أن يكون في فكره وعمله صادرًا عن عقيدته وإحساسه هو.

(٢١٦) حياة الفرد أن يعرف نفسه ويعتد بها، وحياة الجماعة أن تعتمد على نفسها وتصدف عن غيرها.

(٢١٧) يروى أن سلمان الفارسي — رضي الله عنه — سئل عن نسبه؛ فقال: سلمان ابن الإسلام.

(٢١٨) يقصد الشاعر من هذه القصة أن ابن مسعود بكى أخاه لما جمعهما من صلة بالنبي لا من صلة النسب.

(٢١٩) البيت لجلال الدين الرومي.

(٢٢٠) القران: القرآن.

(٢٢١) الفقر عند إقبال — كما هو عند الصوفية: ألا يستغني الإنسان إلا بالله، انظر مقدمة «ضرب الكليم».

(٢٢٢) يعني: أن الكائنات قبلك كانت في ظلام وفاقة وحاجة إلى من يبعث فيها الحياة والقوة.

(٢٢٣) المسلم صار بيت أوثان بما في نفسه من أهواء، وعبادة للكبراء.

(٢٢٤) سمنات: بيت أصنام معروف في الهند، أخربه السلطان محمود الغرنوي، ويعيد الهنادك بناءه اليوم.

(٢٢٥) الأياة: شعاع الشمس.

(٢٢٦) القانون: آلة موسيقية، وفي الكلام تورية بالقانون الذي معناه الشرع.

(٢٢٧) الأبوصيري: الشاعر ناظم البردة، وعود سليمي: يراد به قوة العرب في الأدب والغناء.

(٢٢٨) اهد من ادعى أن فلسفتي مأخوذة من الفرنج لأنه يجهل ما في دينه من قوانين.

(٢٢٩) صار إسكاره أشد كالخمر المعتقة.

(٢٣٠) الآزري: المنسوب إلى آزر ناحت الأصنام، وهذا العقل الوثني نقش في روحه نقشًا عجيبًا.

(٢٣١) الحكمة: الفلسفة.

(٢٣٢) هذا الأمل الذي كرر ذكره وأطال في وصفه تحول دمعًا سجم من عينيه، ونغما رن في قلبه.

(٢٣٣) كرر إقبال هذا الرجاء في شعره، قبل وفاته بثلاثين سنة إلى أن توفي، وروى الأستاذ يوسف جشتي شارح دواوينه: أن أحد أصحاب إقبال دخل عليه في يناير سنة ١٩٣٨ — أي قبل وفاته بثلاثة أشهر — وأخبره أنه عزم على الحج، وسأله أن يدعو الله ليقبل حجته، فبكى إقبال بكاءً شديدًا وقال: بل اسأل الله أن ييسر لي زيارة روضة الحبيب ﷺ.

(٢٣٤) يعني: أن بلاد الهند يسيطر عليها الإنكليز وليست بلادًا إسلامية خالصة، فهي ليست جديرة أن يعيش فيها المسلم أو يعبر فيها.

(٢٣٥) هذا البيت أحسبه مقتبسًا من جلال الدين الرومي، والسكن هنا من يسكن إليه الإنسان ويطمئن.